

علم الحديث هل نُقل كاملاً

علم الحديث -وقفات مختصرة (الجزء الأول)

الوقفة الأولى: أن الحديث بالمعنى القرآني هو القرآن نفسه، والحديث الذي في أذهاننا اسمه (بيان) = ليبين لهم.

الوقفة الثانية: أن أهل الحديث - في الغالب - هجروا كتاب الله وانشغلوا عنه بالحديث، ففقدوا أهم معيار في تقييم الحديث.

الوقفة الثالثة: أن أهل الحديث لم يهتموا بالعقل، فصححوا الكثير مما يخالف العقل، والعقل غير التذوق والهوى، لكن الشرع لم يأت بمخالفة العقل.

الوقفة الرابعة: أن أهل الحديث ركنوا إلى الراكنين إلى الذين ظلموا.. قد لا يكون أكثرهم من الراكنين، لكن معظم مادتهم من الراكنين الأولين.

الوقفة الخامسة: أهل الحديث تأثروا بالأرضية الثقافية التي تم إنشاؤها في العهد الأموي وتثبيتها في العصر العباسي، جبر وإرجاء ونصب وتكفير.. الخ

الوقفة السادسة: أهل الحديث ضرهم هجر الفرق الأخرى، فلم يستفيدوا من العقل المعتزلي ولا الإيمان الشيعي ولا الصدق الخارجي ولا الأفق الفلسفي.

الوقفة السابعة: أهل الحديث أهملوا الأثر السياسي على الحديث ولم يراقبوه، وأهملوا الأثر المذهبي، لأنهم داخله، هم متمذهبون، فلم يراقبوا أنفسهم.

الوقفة الثامنة: أهل الحديث - في الجملة - إنتاجهم مفيد لذوي العقول أصحاب المعايير السابقة من قرآن وعقل، وهو ضار لمن لا يعول على قرآن ولا عقل.

الوقفة التاسعة: أهل الحديث : ليس مذهبهم واحداً، ففيهم الشيعي والسلفي والناصري والفقهي، ولكن غلب عليهم - من أيام المتوكل وأحمد بن حنبل - التعصب والهوى والمذهب.

الوقفة العاشرة: ليس هناك مذهب لأهل الحديث، فكل الذين كتبوا عن (عقيدة أهل الحديث) وجعلوها عقيدة واحدة، فهم إما أصحاب دعاية أو جهل وعصبية.

الوقفة الحادية عشرة: الدقة والصناعة الحديثية عند أهل الحديث إنما أتت متأخرة، وكانت الرواية القديمة في القرن الأول إلى منتصف الثاني ساذجة، فالذين تجدونهم يرددون (أهل الحديث كان لهم منهج كذا وكذا...) هم جهلة بتاريخ تطور الرواية، وليس عندهم قدرة على قراءة نقدية، لأنهم متمذهبون .. أعني أصبح الدفاع عن أهل الحديث ومنهجهم مذهب قائم بذاته، فالمدافع يعدونه ممدوحاً صاحب سنة، والمنتقد يعدونه مذموماً صاحب بدعة!.. وهذه مذهبية، فلذلك تجدهم يتكلمون في الدفاع عن محدث أو رواية صححها أحدهم ولا يتكلمون في معرفة الحق، فالحق عندهم هو الشخص والمذهب وليست المعلومة الصحيحة .. وهذا من أكبر التعصب والمذهبية، لأنهم لا يعرفون الحديث إلا من آخر ملفق بين نظرياته، كابن الصلاح لا يعرفون مسيرته ورجاله وتطوره واختلافه.

الوقفة الثانية عشرة: ليس هناك شيء اسمه (مصطلح الحديث)، هذه مجرد تجميعات وانتقادات، من فعل بعض أهل الحديث، تم تعميمها على كل أهل الحديث.

الوقفة الثالثة عشرة: أهل الحديث المتأخرون - وكثير من المتقدمين - لا يلتزمون بالتعريفات الذي وضعها المتأخرون، وبعضهم لا يعلم عنها شيئاً.

الوقفة الرابعة عشرة: المزاج العام عند أهل الحديث أن الصحابة والتابعين ليسوا من أهل الحديث، ولا يأخذون بمنهجهم في مسائل محورية، كعدالة لصحابة، فهذه القاعدة (عدالة جميع الصحابة في الرواية) قاعدة خاطئة، ليس عليها كتاب ولا سنة ولا الصحابة ولا أكثر التابعين، تم اختراعها بعد ذلك مذهبياً، فلذلك إذا وجد أهل الحديث أن عائشة ردت أحاديث لأبي هريرة، أو

عمر رد حديثاً لأبي موسى.. يتضايقون جداً، ويتكلفون في الدفاع بأنه قصد وقصد.. فالقاعدة عنهم (أن الصحابة كلهم عدول)، يظنون أن الصحابة أنفسهم يؤمنون بها، وهي قاعدة مستحدثة، لم يكن الصحابة يرونها أصلاً، ولا أكثر التابعين

الوقفه الخامسة عشرة: أهل الحديث تركوا نصف أوامر القرآن، أهملوها لإهمال السلطة لها، فلم يرووا فيها حديثاً (كالعقل وتدبر الكون والشهادة لله)، ورووا بكثافة في أمور أقل بكثير (مثل تفاصيل الطهارة والوضوء والصلاة واللباس والأكل.. الخ)، تركوا الأهم، وكنفوا الأقل أهمية بكثير. وهذه لها سر، فسرّها الأعلى هو هجر كتاب الله، وسرّها الأدنى هو التأثير بثقافة السلطة التي لم تكن تهتم بهذا، وإنما تشغل الناس في صغائر الأمور والتفاصيل.

والمكثرون من الحديث من الصحابة أو تلاميذهم.. ومن التابعين أو تلاميذهم.. هم مقربون من السلطة، فكان الأثر السلطاني ظاهراً على إنتاج أهل الحديث..

بمعنى... غياب التفكير - فالسلطان لا يتفكر - غياب التدبر، غياب الشهادة لله، غياب العدل، كثرة العسكرة والكبر والعقوبات، فانعكس هذا في الحديث، فالحديث - في معظمه - نتيجة سلطانية، وهم إلى اليوم يتغنون بفتح الأندلس - وهو استعمار - ولا ينشغلون بتدبر سورة الفاتحة، فالعسكر والقتال غالب عليهم، بمعنى أن النتيجة الحديثية تشبه المعلقات العشر..

فخر وكبر وفعلنا وفعلنا وقتلنا و سحلنا ونحرنا، ليس فيه هذا القلب السليم الذي يريده الله.

القرآن الكريم فيه غايات محورية ضاعت في الحديث، أو ذابت أو ضاعت وسط ضجرات التكبير وصيحات السبايا وأخبار الفتوح والتشيع السياسي.. كحالهم اليوم..

فالموضوع الحديثي برمته يحتاج إلى إعادة نظر وعرض على القرآن وتلمس ما يشبهه، ولو سخطوا على ناقله ورفض ما يضاده، ولو عظموا واضعه وناقله.

هذه مقدمات مختصرة يسيرة، وأنا أعرف أنه سيرفضها أكثر أهل الحديث الذين هم داخل بيضة الحديث، فإن الصوص وهو ادخل البيضة يرى البيضة أوسع أرض..! أما أهل الحديث الذين تعرفوا على القرآن وعرفوا معالمه واستضاءوا بنور هدايته وعرفوا قدر العقل والتدبر والتواضع والنظر، فسيعرفون صواب ما قلته.

علم الحديث - معايير دينيه لا مذهبيه (الجزء الثاني)

في **الجزء الأول** أعطينا قواعد أو سمات عامة لأهل الحديث ومنهجهم، ولابد اليوم من أن نذكر بعض التفاصيل، فالكلام العام لا يكفي.

وقلنا أمس أن علم الحديث يحتاج إلى معايير جديدة، أو تفعيل المعايير النظرية على الأقل، بمعنى:

عندما يعرف أهل الحديث الحديث الصحيح بأنه (ما رواه العدل الضابط عن مثله... الخ) أن تكون هذه العدالة بمعايير علمية وليست مذهبية، وهذا خلل كبير عند أكثر أهل الحديث، بمعنى أنهم قد يوثقون من هو مجروح أو فاسق قرآنياً، ويضعفون من هو عدل وصادق قرآنياً! فمعايير العدالة والسنة والبدعة والإيمان والتفاق عند أهل الحديث فيها خلل كبير.. نتيجة تأثرهم بالرواية والجو السياسي والمذهبي العام.. مثل اليوم تماماً، قد يكذبون الصادق ويصدقون الكاذب، ليس بمعيار صحيح، وإنما بالرضا النفسي والسخط النفسي، فمن أبغضناه فهو كذاب ومن أحببناه فهو ثقة! هذه المعايير (الذاتية النفسية المذهبية) غير علمية ولا موضوعية.

ومنهج أهل الحديث مؤثر فينا إلى اليوم، فمن أبغضناه كذبناه وأخذنا عليه أصغر الصغائر، ومن أحببناه تكلفنا في الاعتذار عنه وإخفاء مساوئه!

وأمر آخر..

وهو أن منهج أهل الحديث - غالباً - (وخاصة من أيام المتوكل وأحمد بن حنبل) إما ذم مطلق أو مدح مطلق، حب مطلق أو بغض مطلق، وهذه إلى اليوم، وهذا أيضاً عادة نفسية غير مضبوطة بالقرآن الكريم، فلذلك تجد التيار السلفي (ورثة أهل الحديث الأصليين) يبغضون كل من خالفهم مطلقاً، ويوعدونهم بالنار.. حتى الأشاعرة - وهم أغلبية أهل السنة - أخرجوا فيهم الكتب التي تحشرهم في الثلاث وسبعين فرقة، بناء على حديث ضعيف مخالف للقرآن.

المعيار القرآني - لو عدنا إليه - لا يأمر بـبغض إلا المحارب المعتدي فقط، سواء كان مسلماً باغياً أو كافراً معانداً، أما بقية الخلق فالحب مشروع، وهذا الحب شعور قلبي لا تتحكم فيه، فلو ساعدك طبيب غير مسلم في علاج ابنك فستضطر طبيعياً لحبه، لا لدينه وإنما لنجدته وخدمته لك.. هذا طبيعي.

التيار السلفي - ورثة أهل الحديث - يجبرونك على أن تجبر قلبك على بغض كل من ليس مسلماً، بل كل من ليس سنياً، بل كل من ليس سلفياً، وهذا تكليف، وهو تكليف مذهبي لا شرعي.. فليس المسلم باللنيم حتى يبغض من أحسن إليه، أو حتى يبغض من لم يسيء إليه، هذا اللؤم والكراهية ليست ديناً..

هي مذهب.

وحتى لا نظلم.. فهذا ليس عاماً في السلفية، لكنه ظاهرة على الأقل، وهذا ما تعلمناه في المدارس والجامعات للأسف، تحت عنوان الولاء والبراء، وهذه نتيجة من نتائج أهل الحديث على السلوك والعقل المسلم، وليست من نتائج القرآن ولا الإسلام، ولا كان هذا من خلق النبي صلوات الله عليه وآله..

إذن فالبغض والبراءة هي من المعتدي المحارب الظالم.. الخ، وليست من المسالم المحسن.. هذا إن أردنا محاكمة السلوك بالشرع، أما المذهب فلا، ولذلك تجد السلفية (ورثة أهل الحديث) يتعبون الآخرين بإيجاب ما لم يجب شرعاً، وإنما أوجب أحمد بن حنبل أو ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب، وهؤلاء الأشخاص - أو قولوا الأعلام - مهما بلغوا من الفضل والعلم إلا أنه لا يجوز لنا أن نتخذ سيرتهم شرعاً، ولا سيرة أهل الحديث، ولا حتى الصحابة، إنما الشرع في النص، قرآناً أو سنة. ويمكن الاستئناس فقط بسير الصالحين من صحابة وعلماء وفقهاء.. الخ، وهناك فرق بين الاحتجاج والاستئناس.

إذاً فأهل الحديث ومنهجهم أنتج سلوكاً جافاً، يتكلف معادة من لم يأمر الله بمعاداته، والاعتذار عن من أوجب الله معاداته من المعتدين المحاربين، فتجدهم يعادون مثل الجهم بن صفوان والمعتزلة والأشاعرة لرأي رأوه ويبالغون في مدح دعاة النار وكبار الظالمين والمجرمين!

هذه نتيجة مذهب لا دين.

الدين لا يجعل لأحد من الناس ميزة تبيح له الجرائم والمظالم، ولا يحرم أحداً من التفكير وبذل الوسع في معرفة الحق..

الأول جنائي والثاني معرفي.

الدين لا يعاقب على المعرفة، وإنما يعاقب على الجنائيات، والمذهب عكس القضية، فهو يعاقب أقواماً على المعرفة ويتساهل مع آخرين في الجنائيات. فمتى نستطيع إعادة البوصلة بحيث يكون تسامحنا وعقوباتنا وافقة للدين لا للمذهب؟ لن نستطيع إلا إذا قمنا بتفكيك الحالة المذهبية ونقدها أولاً، ولا يفيد أن تدل الناس على الدين مباشرة أو الحق مباشرة، لأنهم سيأتون ويقولون لك:

ولكن أحمد أو ابن تيمية أبغض فلاناً وكفر المعتزلة و.. الخ .

إذاً أنت في هذه الحالة محتاج أن تقول له:

أحمد رحمه الله فقيه وعابد، ولكن لا نأخذ الشرع منه، فهو بشر، فلماذا تحتج علي بفعل بشر وتترك النص؟

هنا سيقول لك :

هو أعلم بالشرع منك؟

قل له: هذه حجة عوام الشيعة والمعتزلة وغيرهم في علمائهم، فلا بد أن تعذرهم أيضاً، أو نتفق على كلمة سواء، فكل عامة أهل المذاهب يقولون: علماؤنا أعلم بالشرع منا؟ فماذا نفعل؟ هل نعذرهم أو نقول أن النص أولى بالاتباع؟ النص الواضح لهم وليس المشتبه.

لا بد أن يجد طلبية العلم والعامة أيضاً حلاً وسطاً، كلمة سواء.. ملخصها : التشريع لله ولرسوله.. وليس لأحد من الناس، مهما كان في قلوبنا عظيماً.

أهل الحديث - سامحهم الله - لم يكونوا هكذا، كانوا إذا هجر أحمد بن حنبل رجلاً هجروه، وإذا أبغض الذهلي رجلاً أبغضوه، وإذا أفتى مالك بقتل أحد أفتوا!

هذا لا يجوز.. لا يجوز أن تتبع الفقيه في كل قول وفعل... إلا رسول الله فقط، أما أحمد ومالك والذهلي وأمثالهم فلست أنا ملزماً أن أتبعهم، نعم أنا ملزم أن أنظر إلى أفعالهم وأدلتهم وأعرضها على الكتاب والسنة، فإن وافقت.. وإلا رددتها...

قد تقولون:

هم لا يخالفون الكتاب والسنة.

أقول: فهل كان هجر الذهلي للبخاري وتبديعه له والأمر بهجر حديثه وترك الرواية عنه.. هل هذا موافق عندكم للكتاب والسنة؟ لن تستطيعوا الإقرار.

إذاً.. فإذا كان الذهلي - شيخ البخاري - (وقلده أبو حاتم وأبو زرعة) إذا كان هؤلاء لم توافقهم على موقفهم من البخاري، فمن حَقَّك ألا توافقهم في غيرهم.

إذاً فليس صحيحاً أنه يجب عليك موافقة العلماء وأهل الحديث، وإنما تنظر إلى أقوالهم ومواقفهم، وتعرضها على الشرع، فتقبل منها وترد.

هذا دين.

ثم أهل الحديث ليسوا متفقيين حتى يكون اتباعهم واجباً، بمعنى لو أنك أردت اتباعهم لما استطعت. لأنهم مختلفون في المواقف، والتضعيف والتوثيق.. الخ. ثم لو اتفق أهل الحديث على مسألة فليس بالضرورة أن توافقهم أيضاً، فهناك أهل الرأي والمعتزلة والشيعية والأشاعرة.. الخ، وحجة أتباعهم كحجتك..

ولا بد أن نذكر بأنه لا يجب عليك اتباع مذهب ولا تيار ولا حزب.. أنت يجب عليك اتباع الحق الذي تعرف أنه حق. حتى الحق الذي لا تعلمه لا يجب عليك.

قد يقول قائل:

كلامك هذا يوحي بأنه لا يجب اتباع المسلمين، وأنه يجوز اتباع اليهود والنصارى، لأن حجة العامة عندهم كحجتنا؟

والجواب:

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، نعم لا أوجب على اليهودي من العامة والنصراني من العامة والمسلم من العامة اتباع أحد، وإنما أوجب عليه اتباع الحق، بمعنى لا يجب على اليهودي اتباع المسلمين، إنما اتباع الحق، وهو الواجب على المسلم أيضاً، يبقى الحوار في هذا الحق.. ما هو؟ وهذا موضوع آخر.

لكن لو وجدت عند النصارى حقاً ليس عليه المسلمون فاتبعه، لأنه من دين الله الجامع، كالأخلاق مثلاً، وحسن المعاملة، وحب المعرفة، وحقوق الإنسان..

وعندما أقول "اتبع" هذه الأمور، ليس لأنها نصرانية، لكن لأنها حق ضيعه المسلمون، وهو من صلب دينهم، فاتباع الدين إنما هو اتباعه، هو لا اتباع أتباعه، وعلى هذا فلا إشكال في اتباع أي حق، سواء وجدته عند مسلمين أو يهود أو نصارى أو بوذيين.. الخ، وبهذا يكون المسلم مسلماً، مسلماً للمعرفة والحق.

يجب أهمل التسميات والنظر إلى حقائق الأشياء، وهذا خلاف منهج أهل الحديث الذي ورط المسلمين في الألقاب (سني/ مبتدع/ ضال) وترك الحقائق.

وأهل الحديث أتاهم هذا الغرور بالألقاب من عدة عيوب - لا مجال للتفصيل فيها - من تركية النفس وبخس الناس أشياءهم وهجر القرآن والتأثر بالسلطة.. الخ، لذلك فكل مسألة علمية تدخل فيها معهم في حوار تجد أنهم يقفزون للتنازع بالألقاب (هل أنت سني أم شيعي، هل أنت علماني أم إسلامي ..).

هذا جهل، لأن الحوار هو في المعلومة ومدى صحتها، وليس في الشخص.. حتى لو يقول لك : أنا شيعي أو علماني فلا يجوز لك رد الحق الذي أتى به، ولو قال "سني" لا يجوز لك اتباع الباطل الذي أتى به، لأن الحق لا يتجسد في الأشخاص، وهو فوق الألقاب، هو معنى لا يسعى لشخص ولا مذهب، إنما الواجب السعي إليه.

هذه الأشياء ربما أنها نظرية، وقد يكابر بعض أهل الحديث ويقول : أنت ظلمتهم، وهم منصفون، وهم كذا وكذا..

نقول : نحن نتحدث عن واقع معروف ولا نعمم.

فالمكابرة أيضاً سمة من سمات أهل الحديث ورثتها السلفية، تجد أحدهم يكابر ويكابر في معلومة واضحة كالشمس وسط السماء. ويظن أن هذا دين ! هذا وهم.

إذاً.. فأهل الحديث ورثوا لنا من تصرفاتهم ومظالمهم وجفافهم الشيء الكثير، واختلط عندنا بالدين نفسه، وأضعف عندنا الثقافة الدينية الأولى، وهي رحمة..

الإسلام الأول رحمة، حتى على غير المسلمين (لو عرفنا الله وعدله) وإسلامات المذاهب عذاب، حتى على المسلمين (لو عرفنا الشيطان ومكره) .

البدايات منتجة.

إذا ابتدأت بمعرفة الله أنتجت لك هذه المعرفة كل خير، وإذا لم تبدأ بمعرفة الله معرفة صحيحة سبقك الشيطان بثقافته وتلبسه، فشرعن لك كل شر!

علم الحديث - أبو هريرة نموذجاً (الجزء الثالث)

أعرف أن المسلمين مختلفون في أبي هريرة، والذين تناولوه قسماً متضادان، قادح بغلو، ومادح بغلو!

فأنت الآن - كطالب علم - لا تريد أن تظلم أبا هريرة، فتضعفه بما لا يوجب تضعيفاً، ولا أن توثقه إذا كان في توثيقه ضرر على الحديث المنسوب إلى الشرع، بمعنى إذا وجدت فريقين متحاربين فليس بالضرورة أن تقف مع أحدهما، قد يكون كلاهما على باطل، ولكن لا يمكن أن يكون كلاهما على حق، فالحق لا يتعدد، فماذا تفعل إذا وجدت أهل الحديث في الجملة يوثقون أبا هريرة ويعظمونه ويصححون أحاديثه ووجدت الشيعة وبعض السنة يضعفونه مطلقاً؟.. أين تقف أنت؟

هنا لا يجوز أن تقول أقف مع أكثرية السنة، ولا للشيعي أن يقول أقف مع الشيعة، أنت قف مع الحق، ولكن ما الحق في أبي هريرة وحديثه؟.. ولو الحق النسبي!

هذا يتطلب منك أموراً:

١- تتعلم ترجمة أبي هريرة من جميع المصادر .

٢- تقرأ إنتاجه كله أو القدر الكافي للحق النسبي .

٣- تعرض إنتاجه على القرآن.

٤- تعرف آراء الصحابة والتابعين فيه (قبل أهل الحديث) .

٥- تكون شهادتك لله، حتى لا تلقى الله بظلمه إن كان بريئاً، أو ظلم الشرع إن كان متهماً.

فأنت اسأل نفسك كما أسأل نفسي الآن:

ماذا فعلت أنا في هذه الموضوعات؟ وهل طبقته على نفسي؟ وهل أنا متأثر ببعض الآراء معه أو ضده؟ ما الحق فيه؟

هنا قد أتوصل إلى شيء من الحقيقة - لا كلها - لأن كل الحقيقة تحتاج إلى استقصاء للمعلومات عنه وعن علاقاته وظروفه ومصادره وثقافته وحديثه.. الخ، لكن من خلال قراءة جميع أحاديثه وتراجمه وأقوال الناس فيه تستطيع أن تخرج بأسئلة يجب الإجابة عليها بعلم وصدق، وأن توسع الاحتمال وتقلب المادة، ولا بد في البحث - أي بحث - أن تفرق بين القطعي والظني، سواء في أحاديثه أو سيرته، إذا حصلت على قليل من القطعي فهو أفضل من كثير الظن.

ولعل كثيراً مما يُتهم به أبو هريرة إنما هو من فعل الرواة عنه، فهنا يجب أن تعرف ما هي الأحاديث التي هي من مسؤوليته، والتي هي من مسؤولية غيره، وأنت بهذا الاحتمال تنجي نفسك من أن تظلمه في تحميله رواية بعض تلاميذه، وتبريء نفسك من تصحيح الباطل المخالف للقرآن، أو الواقع..

سندخل في مفاتيح من أحاديث أبي هريرة وأقوال الصحابة والتابعين فيه قبل أقوال أهل الحديث لننظر ماذا فعل أهل الحديث في تلك الأحاديث والأقوال؟ واعذروني، فقد يكون الانتقال عشوائياً.. من أحاديث رواها - لها علاقة بموضوع توثيقه وتجريحه - أو أقوال لبعض الصحابة فيه، كعائشة والزبير وغيرهم.

وليس بالضرورة أن تتخذ موقفاً.. أنت اجمع المعلومات القطعية ثم ليكن عليها بناء أسئلة جالبة لإجابات مقنعة، فمثلاً: كثرة رواية أبي هريرة للحديث بحيث أنه روى أكثر مما رواه أهل بدر كلهم! مع تأخر إسلامه وتقديم إسلامهم! هذا محل إشكال كبير، ومن أيامه.

أنا أعرف الاعتذارات عن هذه الكثرة. والاتهامات بهذه الكثرة، لا أريد متابعة اعتذارات ولا اتهامات، أريد أن أفهم الحقيقة ما هي؟

هذا كمثال فقط

الأمر الثاني: رواية كيس أبي هريرة.. هناك رواية غريبة في صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة سأعرضها بحيادية، ونتساءل بحيادية عنها وهي:

وهذه الرواية تعتبر قولاً من أبي هريرة في أبي هريرة نفسه! وهي: في صحيح البخاري [جزء ٥ - ٢٠٤٨] حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح قال حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) تقول المرأة إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد أطعمني واستعملني، ويقول الابن اطعمني إلى أن تدعني، فقالوا: يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله ؟ قال: لا.. هذا من كيس أبي هريرة (اهـ)

هذه رواية عجيبة، ولهم فيها اعتذارات باردة غير مقنعة.

والحديث في مسند أحمد بن حنبل [جزء ٢ - ٢٥٢] حدثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله... الحديث.. وفيه ذكر الحديث بمثله، وذكر كيس أبي هريرة.. بلفظ: (إن أفضل الصدقة ما ترك غنى، تقول امرأتك أطعمني وإلا طلقني ويقول خادمك اطعمني وإلا فبعني، ويقول ولدك إلى من تكني؟ قالوا: يا أبا هريرة هذا شيء قاله رسول الله أم هذا من كيسك، قال بل هذا من كيسي(اهـ)

قلت: قولهم: أم هذا من كيسك إن صح يدل على شهرته.. لأن غيره من الصحابة لم توجه له هذه اللفظة! فلماذا واجهه التابعون بهذه الكلمة القاسية؟

وقد رواه البخاري في الأدب المفرد من طريق آخر، وحذف (كيس أبي هريرة)، فقال (في الأدب المفرد للبخاري [جزء ١ - ٧٨] حدثنا مسدد قال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الصدقة ما بقي غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، تقول امرأتك أنفق على أو طلقني، ويقول مملوكك أنفق على أو بعني، ويقول ولدك إلى من تكني (اهـ)

فلا إدراج كما زعموا!

والسؤال هنا: إذا كان أبو هريرة صادقاً أن الحديث من كيسه، فلماذا قال في البداية قال رسول الله؟!

وإذا كان هازلاً، فلا يجوز السخرية بهذه الأسئلة.

وإذا قصد أبو هريرة أن المراد بما هو من كيسه هو آخر الحديث لا أوله، فهو لم يفصل عندما رواه، وإنما سرده سرداً واحداً، ولم يبين المدرج لو حصل، والحديث عند أبي داود [جزء ١ - ٥٢٥] من نفس طريق الأعمش (وهو طريق البخاري)، مع بتر قصة كيس أبي هريرة! وقد رواه الشاميون بدون الكيس، فهل إخفاء من أخفى الكيس هو حماية منه لأبي هريرة من هذا الاعتراف؟! أم أن من زاد الكيس (كالبخاري وأحمد) هم المخطئون في الرواية؟!

لابد من إجابات.

أنت ابن معرفتك بنفسك.. ولا تستعجل على الإجابات.. دعها معك، وضع لها أكثر من جواب احتمالي، قد يترجح أحد الإجابات مع الوقت، فالعجلة فرع الكبير.

إذاً فهذا الحديث (كيس أبي هريرة) يفيد اعترافاً من أبي هريرة بأنه أحد رجلين

١- أما أنه قد يزيد في الحديث ولا يبين حتى يُسأل

٢- أو ماذا؟

أو أنه يقول الحديث عن رسول الله ولا يكون صحيحاً، وإنما من كيسه، وهذا أخطر بكثير، فما الحق هنا؟ لا تستنتج من هذا فقط، ابحث في المزيد من حديثه!

فمثلاً حديث إفطار الجنب، رواه مالك في الموطأ وغيره، وهو صحيح السند، وقد ذكر قصته ابن عبد البر في التمهيد (٢٢ / ٣٩) مطولاً من رواية (مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أنه سمع ابا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يقول: كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فذكر له أن أبا هريرة يقول: من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم، فقال مروان: أقسمت عليك يا عبد الرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنهما عن ذلك، فذهب عبد الرحمن وذبت معه، حتى دخلنا على عائشة فسلم عليها، ثم قال: يا أم المؤمنين، إنا كنا عند مروان فذكر له أن أبا هريرة يقول من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم، قالت عائشة: ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمن، أترغب عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ قال عبد الرحمن: لا والله. قالت عائشة: فأشهد على رسول الله أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم، قال: ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة، قال فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم، فذكر له عبد الرحمن ما قلنا فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركين دابتي فإنها بالباب، فلنذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعراق، فلتخبرنه ذلك، فركب عبد الرحمن وركبت معه، حتى أتينا أبا هريرة فتحدث معه عبد الرحمن ساعة، ثم ذكر له ذلك، فقال أبو هريرة: لا علم لي بذلك، إنما أخبرني به مخبر (اهـ)

وأعذر عن طول النص !

وهذا يدل على أن أبا هريرة على الأقل ينقل عن غير ثقات عن النبي، وهذا ما يسمى (التدليس)، والإمام شعبة - وهو أمير المؤمنين في الحديث - قد اتهم أبا هريرة بالتدليس - كما سيأتي - عند استعراض أقوال المحدثين.

والتدليس في عرف أهل الحديث ليس معناه الكذب - كما نطن اليوم - كلا.. هو روايتك عن شخص قد لقيته ما لم تسمعه منه، وإنما سمعته من آخرين عنه.

وقد روى ابن عبد البر بسنده عن أبي هريرة أنه قال (كنت حدثتكم من أصبح جنباً فقد أفطر، فإنما ذلك من كيس أبي هريرة، فمن أصبح جنباً فلا يفطر!)

هنا حضر (كيس أبي هريرة) مرة أخرى.. وفي وقت مبكر، قبل نشوء أهل الحديث وجرحهم وتعديلهم، فلماذا لم يقولوا : كان يرسل ويدلس ؟

قاله شعبة فقط.

المقصود هنا ... أنك على الأقل تضع لأحاديث أبي هريرة مرتبة في التصديق أقل من مرتبة أحاديث ابن مسعود وجابر بن عبد الله مثلاً.. احتط لدينك.

أعني ليس بالضرورة أن تهاجم أبا هريرة، تستطيع أن تجتنب - أو تقلل أحاديثه - إلا أحاديث يشهد لها القرآن، ومبادئ الإسلام، ولكن ما العمل اليوم؟

العمل للأسف أن أحاديث أبي هريرة على كل منبر أكثر من آيات القرآن الكريم! هذا هو المشكلة، نحن لا نستعجل الآن وننتهمه، أنت فقط تحفظ، احتط، قل.

ثالثاً: أبو هريرة ينقل رأي أهل عصره من الصحابة في الشك في أحاديثه! ففي صحيح مسلم [جزء ٤ - ١٩٣٩] حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن سفيان قال زهير حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن الأعرج قال سمعت أبا هريرة يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله (... الحديث. فهذا رأي عام للصحابة والتابعين - على الأقل في المدينة - ينقله أبو هريرة .. صحيح أنه اعتذر بأن المهاجرين تشغلهم التجارة عن سماع الحديث، والأنصار تشغلهم الزراعة عن سماع الحديث، وهذا طعن في المهاجرين والأنصار أيضاً! وليس صحيحاً أن المهاجرين كلهم تجار، ولا الأنصار كلهم مزارعين، هذا علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والمقداد، من سابقى المهاجرين، وليسوا تجاراً، فهذا التعميم من أبي هريرة غير صحيح.. هناك فقراء مثله صحبوا النبي قبل أبي هريرة بدهر! وماتوا بعد أبي هريرة بدهر! فالإشكال باقٍ...

بل حتى أمهات المؤمنين - عائشة - اتهمها أبو هريرة بأنها شغلته النيل والمكحلة عن سماع الحديث... فأبو هريرة ما أبقي أحداً إلا واتهمه بالتقصير.

فعند الحاكم في " المستدرک " [3 / 509] " من طريق خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن عائشة أنها دعت أبا هريرة، فقالت له :يا أبا هريرة، ما هذه الاحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم، هل سمعت إلا ما سمعنا ؟ وهل رأيت إلا ما رأينا ؟ قال: يا أماه، إنه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة والمكحلة والتصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، (... الحديث.. وصححه الحاكم.

والخلاصة:

أن أبا هريرة كان يرد على الجميع المهاجرين والأنصار وأمهات المؤمنين بأنهم أشغلته التجارة والزراعة والتزين عن سماع الحديث! والذي يهمله أهل الحديث - هنا - أن الطعن في أحاديث أبي هريرة لم تكن عند الشيعة فقط أو بعض السنة أو المعتزلة، كانت رأياً عاماً عند الصحابة .والطعن في حديثه لا يعني بالضرورة تكذيبه، قد يكون وقد لا يكون، لكنه الطعن في طريقة سماعه أو أدائه أو مصادره ..الخ، فالطعن نسبي، وهو علمي أيضاً، وطعن الصحابة في حديث أبي هريرة موثق في أوثق المصادر في الصحيحين.

وهذا مثال على طعن عائشة في حديث أبي هريرة، ففي صحيح البخاري [جزء ٣ - ١٣٠٧] وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا يعجبك أبو فلان جاء فجلس إلى جاتب حجرتي يحدث عن رسول الله يسمعي ذلك وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم اهـ

وأبو فلان في الحديث هنا هو أبو هريرة - كما جاء من طرق أخرى - وهذه من عيوب المتمذهبين أنهم يخفون الأسماء حماية لها، وهذا غش في الرواية.

ولذلك قلنا مسلم أوثق من البخاري وأحمد في النقل (بناء على قراءة أنتاجهم)، لا نقولها عبثاً، فمثلاً هذا الحديث رواه مسلم بسند البخاري نفسه:

صحيح مسلم [جزء ٤ - ١٩٤٠] ...عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت: ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي .. الحديث .وقد رواه بالتصريح باسم أبي هريرة كل من أحمد وأبو داود وابن حبان وغيرهم. وكلام عائشة واضح أن أحاديث أبي هريرة فيها نكارة.

السرد = التطويل

فلذلك قالت: كان النبي يحدث الحديث (لو عدده العاد لأحصاه) وكلام عائشة صحيح، وهو من معاني (البلاغ المبين) أما هذه المطولات من الأحاديث فلا.

وهناك صحابة وتابعون كذبوا أبا هريرة صريحاً.. تركت ذكرهم لأن الأسانيد إليهم تحتاج إلى بيان وتصحيح وتطويل في الكلام، وحتى لا أفسد هذا البحث، لأن المقصود من هذا البحث في علم الحديث أن أهل الحديث لا يهتمون بأقوال الصحابة في بعضهم، وتجريح الصحابة لبعضهم، وتكيب الصحابة لبعضهم..

لماذا؟

لأنهم اخترعوا قاعدة (الصحابة كلهم عدول)! وهي قاعدة لم تكن عند الصحابة أصلاً.. لكنهم أخذوها وعطلوها بها أي نقد - ولو نسبي - لحديث بعض الصحابة، وهم يقولون: نحن نعدلهم لأن الله عدلهم في كتابه !

طيب... فلماذا لم يفهموا من تلك الآيات ما فهمتموه أنتم؟! وأنتم تقولون بأنهم أفهم وأعلم؟؟؟

فالمنهج متناقض... ما أن يبنون قاعدة باليمين حتى يهدموها بالشمال، وكل قاعدة لا يسمح أصحابها بخضوعها للنقاش العلمي فهي مبنية على هوى ومذهبية، وهنا أيضاً.. فالذين لا يحبون المعرفة يتهمونك أنت.. وأنت إنما تنقل أقوال الصحابة وأمهاة المؤمنين الذين يلزموننا بأقوالهم، فهم متناقضون جداً!

بمعنى.. أن عائشة عندما تقول أبو هريرة أكثر من الحديث، وأبو هريرة عندما يقول عائشة أشغلتها الزينة عن رسول الله، أنت هنا لا تتبنى هذا أو ذاك

فهؤلاء الحمقى (ممن يقولون بعدول الصحابه) يقولون: عائشة صادقة في اتهام أبي هريرة، وأبو هريرة صادق في اتهام عائشة، وأنت كاذب في الاثنين، مع أنك لم تتبنَ هذا الاتهامين..! أنت فقط تنقل أن الخلاف في أبي هريرة وحديثه قديم، من أيام الصحابة، لم تتهم المهاجرين والأنصار بما اتهمهم به أبو هريرة، ولم تتهمه باتهاماتهم!

هؤلاء المتناقضون هم نتيجة أهل الحديث تماماً، هم من رووا وهم من عارضوا روايتهم، هم من أمروا بتصديق رواياتهم وهم من منعوا من تصديقها! ولذلك فهم في ورطة كبيرة.. إن ضعفوا الأحاديث (وهي في الصحيحين) وقعوا في ورطة، وإن صححوا وقعوا في ورطة، وإن قالوا بها أو كذبوها في ورطة!

ولذلك هم واقعون تحت وعد الله بالكبت، لأنهم جعلوا بين قرآنه وسنة نبيه وبين عقائدهم حدوداً، لا يجوز للقرآن اختراقها، والله قد تواعد أمثال هؤلاء..

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُفِبُوا كَمَا كُفِيَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ [المجادلة ٥]

فهم في كبت بسبب هذه الحدود، لا يتركونك تؤمن ولا تكفر! تبقى معلقاً في الهواء!

المضعفين لأبي هريرة - أو المنكرين عليه بعض الحديث على الأقل - من الصحابة كثير، منهم علي وعمر وسعد وعائشة والزبير وابن عباس.. والمضعفون له - أو لبعض حديثه - من التابعين إبراهيم النخعي وأكثر التابعين بالكوفة، والموثقون له : هو نفسه ومعوية وكعب الأحبار وابن عمر في قول..

ولا يجوز أهمال جرح عائشة وعلي وسعد والزبير وأمثالهم، فهم أبلغ من أهل الحديث وأعلم بالآيات وبأحوال الصحابة، وقد اتهمه شعبة بالتدليس.. وهو إمام.

والموقف من حديث أبي هريرة ليس الرد ولا القبول، إنما التريث والتأني حتى ينظر في الشواهد والقرائن والحواضن العامة الأخرى من القرآن والحديث.

علم الحديث - أبو هريرة والأثر السياسي (الجزء الرابع)

تركيزاً على أبي هريرة لأنه أكثر من روي عنه الحديث، ولا بد من تقييم عادل له، وفق أقواله نفسه ثم الصحابة، وسيأتي بعد ذلك تقييم الرواة عنه - أو أشهر راويين عنه - وهما أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو صالح، ثم تقييم أشهر الرواة عن الرواة، كالزهرى ثم تلامذته، وليس الهدف من هذا التقييم إنكار الحديث ولا تصحيحه، الهدف هو وضع أكثر الحديث في موضوعة الطبيعي (دائرة الشك)، وألا يحكم على القرآن ولا العقل، لأن الحديث أصبح فتنة للمتمذهيين، يردون به القرآن والسنة الأصح والعقل والتاريخ المتواتر.. الخ، الحديث فتنهم، فلا بد من مناقشة حملته بعلم وإنصاف.

الحديث استخدمته السلطة وعلمائها، واستخدمه الشيطان نفسه، فلا بد من تقليل الغلو فيه ليرجع الاعتبار للقرآن الكريم الذي ضاع وسط هذه الأحاديث.

شخصياً ليس لي موقف حاد، لا من أبي هريرة ولا غيره من المكثرين، إنما أريد أن نناقش كل طريق من الطرق المكثرة من الحديث، ونقيم المتون والأشخاص، وفي الجزء الثالث من علم الحديث استعرضنا أقوالاً لأبي هريرة وللصحابة أنفسهم في موقفهم من حديث أبي هريرة، ونرى أنه لا يجوز أغفال تلك الأقوال، وذكرت أنني لست مع رد أحاديث أبي هريرة عناداً، ولا قبولها تعصباً، أنا مع التريث وتقييمها وعرضها على القرآن وقواطع الإسلام والأحاديث الأصح منها.

أبو هريرة والسياسة ...

وفي هذه الحلقات نستعرض موقف أبي هريرة من السياسات القائمة، وهل لها أثر عليه أم لا؟ لن أتحدث كما يتحدث غيري ..

بمعنى .. لن أتحدث كأبي رية السني الأزهرى، ولا كشرف الدين الموسوي الشيعي، اللذين يتهمان أبا هريرة بالوقوف مع معاوية للدنيا، لي كلام آخر أدق .. الكلام الأدق إما من قول أبي هريرة أو من أقوال أقرب الناس إليه - في موقفه السياسي - وهل يتأثر بالسياسة أم لا؟

والحديث الأول من صحيح البخاري

أبو هريرة - رحمه الله وسامحه - كان يكتم بعض العلم مخافة معاوية الذي من المحتمل أن يقتله إن حدث ببعض فضائح بني أمية أو ببعض فضائل خصومهم، ففي البخاري [ج ١ / ٥٦] عن أبي هريرة - مختصراً - قال: حفظت من رسول الله وعائين فأما أحدهما فبثنته وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم. (!)

فأبو هريرة هنا - وفق صحيح البخاري - يعترف أنه يضطر لكتمان بعض العلم، فلذلك إذا لم نجد في أحاديثه بعض أحاديث المثالب فلا نستغرب، والذي يخشاه أبو هريرة ليس الخلفاء الأربعة، لأنهم لم يكونوا يقتلون على نشر الحديث، وإنما هو معاوية فقط، لأن أبا هريرة مات سنة ٥٧ هـ، فليس بعده.

الذي يخشى أبو هريرة من إقدامه على قطع رأس أبي هريرة هو معاوية فقط! فلذلك كتم الأحاديث التي في مثالب معاوية وبني أمية .. ونجا من القتل!

بل حتى الأحاديث التي ليست بالضرورة في مثالب معاوية - خاصة كالأحاديث المخففة من طاعة الظالم في المعصية - كانت محاربة من دولة معاوية، وأمثلة ذلك كثيرة، مثل أمره عمرو بن العاص أن يمنع ابنه عبد الله بن عمرو من التحديث بحديث الفنة الباغية بقوله (لا تغني عنا مجنونك يا عمرو)، إذا فأبو هريرة كان يخشى القتل إذا حدث بمثل هذه الأحاديث التي تضر السلطة (سلطة معاوية فقط)، ولكن هل كان يجد من معاوية ثمناً لهذا السكوت؟

الجواب: للأسف نعم.. فقد روى الإمام أحمد بسنده الصحيح إلى سعيد بن المسيب قوله (كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية، سكت، فإذا أمسك عنه، تكلم)، وسعيد بن المسيب ثقة وهو صهر أبي هريرة (زوج ابنته وهو أعلم بما داخل البيت)، والخبر في سير أعلام النبلاء والبداية والنهاية لابن كثير.

نقل الذهبي - سير أعلام النبلاء [ج ٢ / ٦١٥] يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، قال: كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية، سكت، فإذا أمسك عنه، تكلم!()

وهذا نقل ابن كثير في البداية والنهاية - [ج ٨ / ص ١٢٢] قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الأعلى بن عبد الجبار، ثنا حماد بن سلمة، عن يحيى بن سعيد (عن) ابن المسيب (كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت، وإذا أمسك عنه تكلم)

والذهبي وابن كثير سلفيان حنبلان في العقيدة شافعيان في الفروع.

فأبو هريرة رحمه وسامحه يمسك عن بعض العلم خوفاً ويمسك عنه طمعاً أيضاً.. إذا فالرجل يتأثر بالسياسة، وهذا الأثر السياسي موجود على من دونه، وعلى هذا فأهل الحديث عندما يظهرون بأن الصحابة والتابعين وأهل الحديث لا يتأثرون بالسلطة ولا يخافون لومة لائم، هذا كله غير صحيح على إطلاقه، هم مثل علماء ودعاة اليوم... يتأثرون بالسلطة السياسية والمذهبية، خوفاً وطمعاً، رغبة ورهبة .. فيجب مراقبة الأثر السياسي والمذهبي.

ثم سلفية اليوم يزایدون على الإمام أحمد والذهبي وابن كثير! وقد يضطرون لتكذيب أحمد بن حنبل - مع أنه لم ينفرد بالخبر -
ففي الثقات للعجلي] - ج ١ / ٤٠٥ [حدثنا العلاء ثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان أبو
هريرة إذا أعطاه معاوية سكت وإذا أمسك عنه تكلم!

فهذا العجلي يتابع الإمام أحمد بالسند نفسه في أن أبا هريرة كان (لأجل المال) يسكت عن بعض العلم، ومعاوية خبير في اشتراء
الذمم.

لا بد أن تتتبع الكثيرين من الحديث وتنظر أحوالهم ومدى تأثيرهم بالسلطة وركونهم إلى الظالمين، فهذا أثر الرواية بترأ
وزيادة وانتقاء.. الخ، كما قال أبو جعفر المنصور : (نثرت الحب للعلماء فكلهم لفظوا إلا عمرو بن عبيد ومعاذ بن معاذ، ثم إن
معاذ بن معاذ ثنى جناحه فلقط)!

وعلى هذا يمكن أن نفهم الأحاديث التي رواها أبو هريرة في فضل أهل البيت أو ذم بني أمية، فيحتمل أنه تكلم بها في فترة تأخر
المال من معاوية.

خلاصة الأمر:

١- الخلاصة في الأجزاء الأربعة التي نشرتها هنا عن علم الحديث أن علم الحديث أضعف مما تتصورون، فلا تهابونه وتردون
به القرآن الكريم..

٢- لا تتهيبوا علم الحديث وما يسمى الجرح والتعديل - وكأنهم علماء ذرة - كلا كلا.. هم مثل مشايخ اليوم في الأثر والتأثر
والإخفاء والنشر .. فلا تهابوهم، وقد ذكرت نماذج يسيرة صحيحة اعترفوا بها أهل الحديث أنفسهم ورووها هم وصححوها هم
عن أبي هريرة .. ولم أتوسع فيها لأن القصد هو التنبيه فقط.

٣- علم الحديث علم بشري، لا تجعلوه شرعاً، لا تعاندوا به قرآنًا ولا عقلاً ولا علماً طبيعياً، هو أقل من هذا كله.. و٩٩٪ منه
ظني لا يفيد العلم.

٤- أقبلوا على القرآن والكون والمنطق والفلسفة وسائر العلوم، قللوا من الانتفاخ بعلم الحديث، فمن علمه من الداخل عرف أنه
أقل من هذا التعظيم ..

٥- لا يغركم ثناء أهل الحديث على أنفسهم بأنهم فعلوا وفعلوا ونقلوا لنا السنة وحفظوها من الضياع ولولاهم لضاع الدين كل
هذا فيه صدق قليل وكذب كثير!

٦- أهل الحديث لهم فضل بلا شك ورحلة في طلب الحديث وتدوين وجهه.. لكنهم أضاعوا من الدين أكثر ما حفظوا هذا القرآن
برمته مهجور عندهم لا يعولون عليه، فأهل الحديث الذين ضخموا جهدهم ومنوا بهذا الجهد على الله ورسوله بأنهم لولاهم
لضاع الدين واندرس الإسلام كلام فارغ ممقوت فلا تصدقوهم.

٧- أهل الحديث بهم تم هجر القرآن الكريم وبهم كان ذم العقل وبهم اسند علينا التفكير في الكون وبهم تم تشييد هذه الشحنة
والبغضاء والتخلف، نعم لهم فضائل .. لكنهم أفسدوها بهذا الهجر للقرآن والتكفير وتشريع التقاتل والكراهية بين المسلمين
والتبذير وملء القلوب أحقاداً والعقول بلادة .. ولو أن كل محدث أخرج لنا تدبر آية واحدة من كتاب الله بدلاً من هذه المصنفات
الموسوعية - التي ضررها أكثر من نفعها - لكان أفضل. لكن وقع ما وقع.

بقي عليك أنت ! أن تستفيد من تراثهم - وفيه بعض الحق - وتتجنب نفسياتهم وتعصبهم، ولا تجعلهم مشرعين بدلاً من الله
ورسوله، ابقهم في حجمهم الطبيعي.

للجاهلون الشامتون :

هؤلاء الشامتون والحاقدون عند كل معلومة تصدمهم هم الذين ضعفوا البخاري وحاصروا الطبري وقتلوا النسائي وضربوا
الحاكم ... وهم امتداد لبني أمية، لذلك عندما نذم بني أمية فنحن نعرف أنهم مازالوا أحياء بهؤلاء، لم يمت بنو أمية إلا بعد إرث
عريض من العقول والقلوب والروايات والعقائد.. هم معنا، لذلك هم يتزاهدون عند ذم بني أمية بحكم، لأنهم قد أفضوا إلى ما
قدموا! لكنهم بهذا مخادعون! لأنهم يذمون الجهم والجعد والمعتزلة، وقد أفضوا أيضاً!

بعض ذكاء هؤلاء في التلون عجيب!

وليس من عندهم، إنما من الشيطان نفسه، فتجدهم أزهد الناس عند ذم الظالمين، ومن أجرأ الناس على ذم الصالحين والعباد ! يقولون: الله لم يسألنا ماذا عمل فلان وفلان ؟ لكنهم يوجبون عليك ذم الجهم بن صفوان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيلان ..

شياطين متناقضون.

الشيطان حريص على الإبقاء على مدح حَمَلَة منهجه في تحريف الدين، واستخدامه في البغضاء والقتل والفساد، كحرصه على ذم كل من عارض هؤلاء الحَمَلَة!

الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ولو من الصين، ولكن المتمذهبة أصبحوا لا يأخذون حتى من الجيران! بل ولا من داخل البيت، هذا الضيق.. مرض وتخلف وجهل وكبر.

علم الحديث - تأثير أهل الكتاب عند أهل الحديث (الجزء الخامس)

أهل الحديث - كما كررنا - ورثوا الثقافة الأموية التي كان لأهل الكتاب فيها صولة كبيرة في تشكيل الثقافة.. وثقافة أهل الكتاب تجدونها عندهم في موضوعات أربع:

١- تشبيه الله أو تسخيف الذات الإلهية.

٢- الجبر.

٣- الإرجاء.

٤- تفصيلات قصص الأنبياء والقيامة.

والتأثر مبكر من أيام الصحابة، وهذا لم يراقبه أهل الحديث، لأنهم اخترعوا قاعدة تضخيم الصحابة ورواياتهم، مع أن بعض المكثرين تأثروا بهم كثيراً، والتأثر بأهل الكتاب هو نتيجة لاستخفافهم بالتحذير الإلهي، والاستخفاف بتحذير الله يوجب الوقوع في المحذور قطعاً، فالله حذر منهم كما في الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ

والتحذير من أهل الكتاب وثقافتهم وتشكيكهم في القرآن كثير جداً.. وخاصة في السور المدنية. وكثرة التحذير فيه دليل على أن الصحابة لم يستجيبوا، لأن التحذير تكرر من أول السور نزولاً بالمدينة (سورة البقرة) إلى آخر سورة (المائدة)، فلذلك انتقلت كثير من عقائدهم، بل وفقهم إلى المسلمين.

الذي يقرأ القرآن يجد أن جمهرة من الصحابة - ليست بالقليلة - كانت تصدق أهل الكتاب وتأخذ عنهم وتتعلم منهم، وكأنهم مرجعية أقوى من مرجعية النبي نفسه، فالبلاء قديم، والتأثير قوي جداً، وليس في القصص الإسرائيلية - كما يتوقع أقوى المحققين - كلاً.. الأثر أكبر بكثير، لدرجة الشك في النبوة والتردد والكفر.

وكان كثير من الصحابة على الأقل يحبون أهل الكتاب وينخدعون بهم رغم كل التحذيرات القرآنية، كأن الشك قد قدح فيهم بأن أهل الكتاب أصدق، ولذلك نجد التاريخ القرآني يختلف عن تاريخ المغاوي والسير، مثل قوله تعالى

هَآ أَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [(119) آل عمران]

هذه الآيات وأمثالها تنقل (تاريخاً) لا يصدقها أغلب الناس إلى اليوم، فهم لا يصدقون أن الصحابة يحبون أهل الكتاب والكفار! وهذا تكذيب مباشر! تكذيب بعض الصحابة للتحذير القرآني من أهل الكتابي ساعة نزول الآيات ليس بأغرب من هذا التكذيب المباشر للقرآن الكريم من الناس اليوم، فالآن لو سألت أي شخص: هل كان الصحابة يحبون أهل الكتاب والكفار لقال لا!

إذاً ماذا تفعل بقوله (ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم)؟!

هل الله صادق؟!

نحن لا نقول إن (كل الصحابة) كانت تنطبق عليهم الآية، لكن - على الأقل - جماعة منهم ليست بالقليلة، قد يكونون أغلبية أو النصف أو أقل بقليل.

لا يطمع المسلمون بفهم تراثهم وتاريخهم حتى يصدقوا القرآن الكريم، لا يمكن أن تكون مسلماً صادقاً حتى يكون الله عندك أصدق من عروة بن الزبير. مستحيل أن تعلم العلم حتى تصدق القرآن أكثر مما رواه أهل المغازي والسير، هذا شرط سهل وصعب في الوقت نفسه! لأن ما ترسخ في العقول أقوى من القرآن، ما ترسخ في العقول أن أهل الكتاب فئات منفصلة لا أثر لهم إلا في القصص، وأن الصحابة لم يتأثروا بهم ولا التابعون ولا أهل الحديث.. هذا وهم كبير.

هذا الوهم أقوى في نفوسهم من الآيات القرآنية، مثل (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم)، هذه اعطوني من يصدق بها! جرب تصدق بها! حتى تتعلم! وهو نقل قرآني لواقع الصحابة، لكن عقيدة أهل الحديث تمنع من تصديق الآية.

إذاً.. فلا تعاتبوا الصحابة على حب الذين كفروا أو أهل الكتاب مادام أنكم لا تصدقون بما نقله الله من وقائع.. ومن أصدق من الله قيلاً؟

الشیطان يوهمكم - كما أوهم بعض الصحابة - بأنكم تؤمنون بالكتاب كله! والواقع أنكم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض! وتحسبون أنكم مهتدون!

كما قلت لكم سابقاً.. الشيطان يريدك أن تدخل النار وأنت مطمئن جداً، لا يريدك أن تشك - ولو للحظة - في إيمانك.. حتى تستمر في كفرك! فانتبه.. تفقد نفسك!

إذاً فلا تظنوا أن تصديق الله أمر سهل، هو يحتاج إلى نصف كثير من العقائد التي في رأسك، فابتلاؤك وابتلاء كفار قريش واحد! فلماذا تضحك من كفرهم؟!

أنت تقول في نفسك (لو أدركت رسول الله لصدقته ونصرته)، وأنت اليوم تكفر بنصف القرآن بالعلة نفسها التي كفر بها كفار قريش.. رأي الآباء والسلف!.. وسبب الكفر بالآيات التي تصف الواقع (الصحابي) في العهد النبوي هو اختراع تلك العقيدة المذهبية (الصحابة كلهم عدول صالحين مؤمنين.. الخ)، لذلك لو تحصي الآيات التي تعارض هذه القاعدة معارضة تامة لوجدت مئات الآيات، وهذه المنات - أنت من الداخل - لا تصدق بها لماذا؟ للمذهب فقط! فقط!

إذاً فلا تضحك بعد اليوم من كفر قريش أو اليهود، فأنت تشاركهم في الكفر ببعض الكتاب - على الأقل - من أجل قاعدة وضعها أحمد بن حنبل وأهل الحديث!.. يابى الفكر المتكلس إلا أن يضرب القرآن بعضه ببعض، فيصدق المخصص ويعمم، ويكفر بالنقل التاريخي كفرة صريحاً، لكن بلا نطق.. كفر قلبي فقط!

نعم هم يكفرون من الداخل، بالقلب فقط، وكأن الله لا يعلم ما تخفي الصدور! وهذا كفر آخر! فالكفر يجزأ بعضه بعضاً، والشیطان يزينه في القلوب.

للشیطان طريقتة في تزيين الكفر حتى يكون أحلى من الإيم، ان والسلفية يمكن اختبارها في آيات، مثل: (تحبونهم ولا يحبونكم) و (تسرون إليهم بالمودة) ..! هذه آيات وأمثالها يكفر بها غلاة السلفية وأهل الحديث، ويضربونها بآيات أخرى في الثناء على المهاجرين والأنصار، وكأن القرآن يكذب بعضه بعضاً!

وهذا كله من التكبر - بالمذهب - عن فهم النص القرآني، فاللفظة القرآنية لها عمق أكبر بكثير من السطحية المذهبية، فالمهاجر مثلاً ليس معناه المنقل من مكة للمدينة فقط! أعني ذلك الانتقال الجسدي، وإنما للهجرة قيود قرآنية، وللنصرة أيضاً، لكنهم صم بكم عمي! كل عمق قرآني لا يراقبونه، أو يصددهم الشيطان عنه، لأن الشيطان يريدك أن تضرب القرآن بعضه ببعض، وتكفر ببعضه، هذا هدف شيطاني، وهو كافٍ لدخول جهنم.

نرجع إلى أثر أهل الكتاب، أهل الكتاب أثرهم قوي - من أيام العهد النبوي نفسه - يدل على ذلك القرآن الكريم، وقد فصلنا ذلك في برنامج سيرة النبي.

عقيدة أهل الحديث - فيما يتعلق بالله - معظمه من عقائد أهل الكتاب، رواها بعضهم في شكل أحاديث، ولا تصح، والموضوع طويل جداً، ومكابراتهم وجدلهم كثير، ومن نماذج ذلك حديث الشاب الأمرد وحديث الصورة (خلق الله آدم على صورة الرحمن) وأحاديث النزول والانتقال والحركة والأطيط والإقعاد والتغير.. الخ، ولكن مثل هذه العقائد (التي هي من عقائد أهل الحديث المنقولة عن أهل الكتاب) لا يبينوها لجمهورهم، وهم يتكتمون عليها ويؤمنون بها سراً.

فهل كان بعض الصحابة يأخذ عن أهل الكتاب؟

وهل كان الناس يخلطون فيجعلون أحاديثه عن أهل الكتاب أحاديث عن النبي نفسه؟

الجواب: نعم، والدليل يأتي:

سير أعلام النبلاء - [ج ٢ / ٦٠٦] قال بسر بن سعيد: اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث؛ فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة؛ فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم؛ فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله

أهو الحديث عند ابن كثير " البداية " [٨ / ١٠٩] من طريق الإمام مسلم عن الدارمي عن مروان بن محمد الدمشقي عن الليث بن سعد، عن بكير بن الأشج عن بسر، وهذا السند صحيح عند أهل الحديث. إذاً فهذا الخلط مزدوج فأبو هريرة يتلقى عن أهل الكتاب (كعب الأحبار)، وهم عندما يروونه عنه يجعلونه عن النبي، ولذلك كثرت في أحاديث أبي هريرة تلك الأحاديث المنكرة في التجسيم والتشبيه وقصص الأنبياء (كضرب موسى لعين ملك الموت) وغير ذلك كثير جداً، فالواجب الشرعي هو التريث أكثر في أحاديث أبي هريرة (وهو أشهر رواة الصحابة)، وخاصة في مثل هذه المسائل التي هي محل إنكار وخصومات مذهبية.

فالعقائد الكبرى يتم أخذها من القرآن الكريم، ويكفي لو أخطأنا بالأسماء الحسنی في القرآن الكريم مع ما ذكره الله عن نفسه من أفعال وخلق وتقدير.

ومن نماذج أحاديث أبي هريرة المنكرة - التي وردت في الصحيحين - حديث تغير صورة الله يوم القيامة، فكل مرة يأتي الناس في صورة مختلفة، وهذا منكر.. ولفظه في مسلم (فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك) والسؤال: هل كانوا يعرفونه؟ أعني هل كان المسلمون يعرفون لله صورة حتى يأتيهم في صورته التي ينكرون ثم يأتيهم في صورته التي يعرفون؟

هذه أحاديث كعب الأحبار.

ومن نماذج أحاديث أبي هريرة الكتابية التي نسبت ظمناً إلى النبي (صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٤٥) (لولا بني إسرائيل لم يخزن اللحم (أي لم يفسد، وعلم الآثار اليوم يستطيع إثبات أن فساد اللحم موجود قبل بني إسرائيل، وهو تحلل كيميائي من طبيعة المواد الرطبة - كاللحم وغيره - فلماذا هذا الكلام؟!

والآخذون عن أهل الكتاب - من الصحابة - وأشهرهم أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان لكعب الأحبار صولة كبيرة في دولة عثمان.

الخلاصة:

والخلاصة هنا يجب أن نعود إلى القرآن الكريم في التحذير من تأثير أهل الكتاب، لنعلم أن هذا التحذير لم يكن عبثاً، فالأثر واضح إلى اليوم، ثم نبحت عن هؤلاء من اسلم منهم ومن لم يسلم، ونعرف ثقافتهم عن الله واليوم الآخر وقصص الأنبياء، ونقيمها بالقرآن، وننظر أشباهها من الحديث.

وممن ينقل عن أهل الكتاب - وكان لهم أثر في المدينة - أنس بن مالك رحمه الله، فقد رواه عنه أشياء توجب التجسيم والتشبيه، فالمسؤول هو أو الرواة. ومن ذلك ما رواه قتادة عن أنس في قصة الشفاعة في صحيح البخاري [ج ٦ / ٢٧٠٨] (فأستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً!)

وهذا تجسيم واضح، لأن الحديث يصور الله مثل السلاطين، معه دار يسكن فيه، تعالى الله عن ذلك، والمسؤول عنه أنس أو قتادة أو أحد الرواة.

وهذه الأحاديث الكتابية شكلت ثقافة كثير من الصحابة والتابعين بدعم من الدولة الأموية، خاصة التي كانت تفضل ثقافة اليهود وتحبها.. وإذا كان بعض الصحابة على الأقل (يحبون اليهود والذين كفروا)، هذا القرآن ينزل وينهى (وبشهادة القرآن الكريم نفسه) - كما سبق- فكيف بنى أمية؟!

فتأثير أهل الكتاب كبير جداً، وهو أكثر مما تتصورون، أهل الحديث هم الذين قللوا من أثر أهل الكتاب، أما القرآن فيعظم من خطرهم وتأثيرهم.

تدبر الآية (١٠) من سورة [الفتح]

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

من جنون الغلاة أنهم يعاندون فيقولون: من بايع فليس من المحتمل أن ينكث أبداً.. ومن أسلم من الصحابة فلن يرتد ولن ينافق ولن يفسق .. الخ

الآن لا تحولوا الموضوع للصحابة..

السؤال الأول: هل لله أكثر من صورة كما ذكر البخاري ومسلم من رواية أبي هريرة أم لا؟
أجيبوا ثم ننظر..

سؤال ثاني: هل كان بعض الصحابة كأبي هريرة يتلقى بعض العلم عن كعب الأحبار أم لا؟
هل عبد الله بن عمرو يحدث من كتب أهل الكتاب أم لا؟
هل وهل..

نحن - في علم الحديث - موضوع الصحابة موضوع منفصل، فقط أجيبوا على هذه الأحاديث التي رويها:

هل لله دار يسكن فيها كما روي عنه أنس؟
أليس هذا تجسيم؟.

دائماً الغلاة يرفضون ماقشة الموضوع ويعيدونه للصحابة، لأن هذا موضوع الشيطان الأكبر في العداوة والبغضاء، يصدهم به عن القرآن وكل معرفة.

صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - [ج ١ / ص ١٦٣] ((يأتهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون)) !
ما جوايكم هنا؟!

متى رأوا الله جهرة - كطلب بني إسرائيل - حتى يحددوا صورته التي يعرفون والتي لا يعرفون؟
متى؟

صفوها لنا إذن؟!

هذه عقائد اليهود لا المسلمين.

علم الحديث - أمانة أهل الحديث ... في الميزان! (الجزء السادس)

أهل الحديث لهم فضائل، ونحن ندعو لهم ونستغفر لهم ونقر بفضائلهم، إلا أنه من واجبنا التخفيف من الغلو فيهم. الغلو في أهل الحديث سببه أهل الحديث أنفسهم، فقد سيطر منهج أهل الحديث في المدح والذم، وهم الذين كتبوا العقائد المسندة، ثم طبعت وانتشرت وسيطرت.. حتى الذين كانوا يقاومونهم - كأهل الرأي والمعتزلة - ضعفوا أمامهم، ليس لقوة أهل الحديث، وإنما لأسباب سياسية - بالدرجة الأولى - ثم اجتماعية.

أهل الحديث كان متقدموهم أفضل من متأخريهم من حيث الجملة، وأعني بالمتقدمين إلى نهاية القرن الثاني، وأما المتأخرون فمن وسط القرن الثالث تقريباً، وفترة البرزخ من عام ٢٠٠ إلى عام ٢٤٠ هـ كانت مرحلة برزخ بين الفترتين.. وهذه الفترات - كما قلنا - من حيث الجملة فقط، فلكل قاعدة استثناءات.

والأثر السياسي مؤثر في أهل الحديث حتى من زمن الصحابة، وهذه يجب فهمهما، وسأفهمهما لتفهموا سبب الإكثار من الرواية عن صحابي دون غيره.. ثم التابعي.

ولو نأخذ أصحاب الألواف من الصحابة (أعني الذين أحاديثهم بالآلاف) ثم تلاميذهم ثم تلاميذ تلاميذهم لرأينا أشياء غريبة يجب التساؤل عنها. فأصحاب الألواف من الصحابة خمسة - وفق روايتهم في الكتب الستة - أبو هريرة (3343) عائشة (٢٠٨١) ابن عمر (١٩٧٩) أنس (١٥٨٤) ابن عباس (1243) سنعتبر هؤلاء كلهم ثقات عدول...

أبو هريرة

مع أن هناك خلافاً - في أبي هريرة خاصة - لكن تعالوا نتعلم ونسأل: فأبو هريرة مثلاً أسلم عام ٧ هـ ومات عام ٥٧ هـ، وسعد بن أبي وقاص من أوائل من أسلم بمكة، وشهد المشاهد كلها، ومات في السنة نفسها تقريباً (٥٧ هـ) ومكانهما واحد، فلماذا أحاديث سعد (١٢١) فقط؟!

هذا سؤال مشروع!

رجل صحب النبي سنتين أو ثلاثاً يروي أكثر من ثلاثة آلاف ورجل صحب النبي ٢٣ سنة يروي فوق المئة فقط! والطلاب هم الطلاب!

بمعنى أن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة كلاهما مدنيان، والطلاب هم الطلاب، وسنة الوفاة واحدة، وسعد من أول من أسلموا، وأبو هريرة من آخر من أسلموا.. وليس معروفاً عن سعد أنه يمتنع عن الحديث، فلماذا انهال رواة التابعين على أبي هريرة وتركوا سعد بن أبي وقاص البصري؟

إنه الرضا السياسي!

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يعاند سياسة معاوية وينكر عليه ويذكره بفضائل علي ويمتنع من سببه، فموقفه السياسي قلل رواته وأحاديثه. بعكس أبي هريرة الذي - وإن كان يمانع أحياناً - إلا أن ابنائه كانوا من قواد معاوية يوم صفين، ودخل هو مع معاوية الكوفة، وولي له على المدينة.. فالرضا السياسي عن أبي هريرة أدى لتكالب الناس عليه، كما أن السخط السياسي على سعد بن أبي وقاص أضاع كثيراً من أحاديثه.

طبعاً أنا أقول هذه الأمور باختصار شديد، ولا أريد أن أذكر المواقف، ولا أن سعد بن أبي وقاص مات مسموماً على الأرجح من معاوية، ولا أن معاوية كان يشك في نسب سعد بن أبي وقاص وقال له (يا بئى عليك الخلافة بنو عذرة) فهو يتهمه في نسبه، وأنه من بني عذرة، وهم ليسوا من قريش.

كل هذه المواقف والأحداث والخصومات بين سعد بن أبي وقاص ومعاوية لن أستعرضها، لأنها تخرجنا عن أصل الموضوع، وهو: لماذا تم هجران أحاديث سعد؟؟

بل هناك بدريون - كأبي حميد الساعدي (مات بعد عام ٦٠ هـ) - ولو مدني كأبي هريرة ولم يرووا عنه سوى ثلاثة أحاديث!

لماذا؟

إنه السخط السياسي.

بل بعض البدرين - كصالح شقران - مولى النبي، توفي بعد أبي هريرة بمدة (70هـ) أي بعد موت أبي هريرة بثلاثة عشر عاماً، لم يرووا عنه سوى حديث ..! حديث واحد فقط، رواه التابعون عن صالح شقران، رغم أنه بدري ومولى للنبي (والمولى قريب ويحفظ السنن أكثر)، ومع ذلك حديث واحد فقط رَوَاهُ عنه.. لماذا؟

لأن صالح شقران كان له موقف سياسي ضد معاوية، وقاتل مع الإمام علي بصفين، وهو مولى للنبي نفسه، إذن فللسخط السياسي دوره في إماتة حديثه وسيرته، كل تلامذة أبي هريرة بقوا بعد أبي هريرة في المدينة ثلاثة عشر عاماً (وقد انقطع حديث أبي هريرة بموته)، فلماذا لم يبحثوا عن صحابة كشقران؟

لا نطيل في أبي هريرة..

أم المؤمنين عائشة

تعالوا لأم المؤمنين عائشة أيضاً، روت ألفي حديث، وأم المؤمنين الأخرى أم سلمة ماتت بعدها بأربع سنوات وروت (١٥٨) فقط ..! ليس من حق الباحث أن يقول عائشة كانت كأم سلمة، كلاهما دخل عليهما النبي في وقت متقارب، عائشة بعد بدر عام ٢ هـ وأم سلمة بعد أحد عام ٣ هـ، وكلاهما لها يوم واحد من تسعة أيام (بحسب عدد أمهات المؤمنين) وإن كانت عائشة قد سبقت بسنة فأم سلمة قد تأخرت بأربع سنوات، فأين هم الرواة؟!

لأن أم سلمة كان لها موقف سياسي قوي ضد معاوية، وتراه بأنه سن لعن رسول الله على المنابر، ورثت الحسين وروت فضائل أهل البيت..

فهو السخط السياسي.

أم سلمة أسلمت قبل عائشة، وهاجرت للحبشة ثم عادت مع زوجها أبي سلمة، وتحاصرا في الشعب مع بني هاشم (ولم يشترك أحد غيرهما مع بني هاشم)، نعم عائشة أيضاً لها معارضا لمعاوية في قتل حجر بن عدي وتشبيهه بفرعون (كما روى التابعي العابد الثقة لأسود بن يزيد)، إلا أنها في جانب آخر قد خرجت على الإمام علي وقتلته، وهذا يعطي نوعاً من الرضا السياسي، فلولا خروج أهل الجمل لما تقوى معاوية واحتج بهم، لأن لهم سابقة.. وهو طليق.

ثم تذكرنا تلامذة أبي هريرة لماذا لم يقبلوا على أم سلمة بعد موت أبي هريرة وعائشة وسعد في العام نفسه تقريباً، أليس أم سلمة أم المؤمنين أيضاً؟!

هنا الباحث لا يتهم عائشة بالزيادة، ولا أبا هريرة، ولا يتهم سعد وأم سلمة بالكتمان، السؤال هو :

لماذا أقبل الرواة على هؤلاء وتركوا أولئك؟

ربما هناك أسباب ثانوية، لكن السبب الرئيس هو الرضا السياسي هنا والسخط السياسي هناك. وهذا ما يغفل عنه أهل الحديث - للأسف - لضعف تحليلهم العقلي.

تصوروا اليوم - في أي بلد - فالرضا السياسي يجلب الرضا الجماهيري على شخصية من الشخصيات العلمية بينما يبقى المسخوط عليه سياسياً شبه منبوذ.

ثم لو أخذنا الأكثرين عن أبي هريرة وعائشة.. فالمكثر عن أبي هريرة هو أبو سلمة بن عبد الرحمن، وكان شرطياً وقاضياً لمعاوية ومروان، بينما سعيد بن المسيب الذي هو أوثق وأجل وهو صهر أبي هريرة وزوج ابنته لم يرووا عن أبي هريرة كروايتهم عن صاحب معاوية ومروان عن أبي هريرة، مع أن سعيد بن المسيب أقدم من أبي سلمة بن عبد الرحمن، وماتا في سنة واحدة ٩٤ هـ، لأن السخط الأموي على سعيد بن المسيب كان كبيراً، لأنه كان يدعو على بني مروان في سجوده، ويتهم معاوية بأنه (أول من رد قضاء رسول الله، ويصرح بذهمه، كل هذا بأسانيد صحيحة ليس هنا مجال استعراضها)، ثم الرواة عن تلاميذ أبي هريرة هو الزهري، فلماذا اشتهر دون بقية تلامذة سعيد وأبي سلمة وأبي صالح (تلامذة أبي هريرة).. لأنه كان صاحب بني أمية.. فقد عمل الزهري في بلاط عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم يزيد بن عبد الملك ثم هشام، وكتب حديثه في بلاط هشام بن عبد الملك، ورواته موالى هشام.

نصف الحديث في الكتب الستة يكاد يكون عن الزهري وتلامذته [كشعيب بن أبي حمزة ويونس بن يزيد الأيلي وعقيل بن خالد) كلهم موالي لبني أمية] . [وقد عاصر الزهري علماء أجل منه مدنيون (بينما هو شامي وشيوخه مدينون)، فمن أهل المدينة من طبقة الزهري محمد الباقر وزيد بن علي وربيعه الرأي!

السبب هو الرضا السياسي هنا والسخط السياسي هنا، فمن تقرب للسلطة أو رضيت عنه كثر طلابه، ومن سخطت عليه السلطة تم هجره، هذا مهم جداً.

حتى المكثّر الأكبر عن عائشة هو عروة بن الزبير (من صنائع معاوية وأصحابه)، وقد مدحه أهل الحديث، وهو عند التحقيق متهم بكثير من أحاديث عائشة، ومعظم الأحاديث التي يحتج بها الشيعة في تكذيب عائشة أو يحتج بها المستشرقون في ذم النبي هي من طريق عروة عن عائشة، أنا اتهم عروة.

فأحاديثه عن عائشة فيها الكثير من الإساءة لرسول الله ولعائشة نفسها. كما أن المكثّر عنه ابنه هشام (صديق المنصور)، وهو يروي عن أبيه عن عائشة، هذا الطريق (هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) مادته المسينة خرجت في كثير من الكتب والأفلام التي تسيء للنبي صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله، ولو أننا امتلكنّا الشجاعة لفعلنا الأثر السياسي في محاسبة الذين ركنوا إلى السلطات الظالمة، ولم نقبل منهم إلا ما حفت به القرائن والشواهد. ولو كانت هناك مناظرات في علم الحديث لعرضنا على أهل الحديث المقلدين بعض أحاديث عروة مثلاً، لرأيتكم كيف سينحرجون في الدفاع عنها، ولن يستطيعوا.

ابن عمر

نذهب مباشرة للمكثّر الثالث، وهو ابن عمر، وكان موقفه السياسي محل رضا من بني أمية، فقد بالغ في بيعه يزيد والتأكيد عليها، ورفض البيعة لعلي من قبل.

هنا لا أنهمه في الحديث، وإنما أقول أن موقفه السياسي أدى إلى الرضا السياسي ثم إلى كثرة الرواية عنه والتقليل عن بدرين عاصرهم، وهو ليس بدرياً، ثم الراوي عنه مولاة نافع، وكان ناصبياً لا يربح بالإمام علي في الخلافة ولا يرى شرعية خلافته، ويرى أن معاوية هو الرابع! فما النتيجة؟

النتيجة أن نصب نافع وحبّه لبني أمية قد جعله يتقدم في الرواية عن أبناء ابن عمر نفسه، كسالم ابن عبد الله بن عمر، وهو وأخوته من الرواة عن أبيه.

ثم المكثّر عن نافع هو مالك وكان مع أبي جعفر المنصور، وألف له الموطأ، وصار (مالك عن نافع عن ابن عمر) سلسلتهم الذهبية! كلهم محل رضا سياسي. بينما المعاصر للإمام مالك - كالإمام أبي حنيفة بل هو قبله (مات سنة ١٥٠، ومالك سنة ١٧٩ هـ) - فقد ضعفوا أبا حنيفة لأنه كان محل سخط السياسة. بل غلاة السلفية وصل بهم الأمر أن قالوا هو يكذب في الحديث، وأنه مبتدع ضال كافر جهمي خارجي .. الخ لأنه كان معارضاً لبني أمية وبني العباس معاً، وأقصد هنا بغلاة السلفية في عصره، وقد توسع الخطيب البغدادي في تاريخه وعبد الله بن أحمد في السنة في استعراض أقوال هؤلاء الدّامين لأبي حنيفة.

عندما تجد أشهر أسانيد أهل الحديث من الصحابي إلى المؤلف لهم مكانة كبيرة عند السلطة، أليس هذا غريباً؟ لا سيما وفي معاصريهم من هو أوثق وأجل؟!

الباحثون الغربيون يراقبون هذا الشيء، ويراقبه المعتزلة قديماً، ولكن لا يراه أهل الحديث، لأنهم داخل هذا الرضا السياسي، ومن كان داخل شيء لم يره!

أنس بن مالك

لو ذهبنا للمكثّر الرابع وهو أنس بن مالك فهو كان مقرباً من الحجاج ومن الحكم بن أيوب الثقفي نائب الحجاج على البصرة، وعمل لزياد بن أبيه .. صحيح أنه في آخر عمره تاب من بعض هذا وشهد عليهم -كما في صحيح البخاري - بأنه لا يعهد شيئاً كان على عهد رسول الله إلا (لا إله إلا الله) فقط ..! لكنه لم يرقم بهذه الشهادة يوم سأله يزيد بن نعام الضبي - وهو صحابي - عن مواقيت الصلاة، فلم يستطيع أن يجيبه، لأن بني أمية كانوا يعبثون بالأوقات.

ثم رواية أنس هو قتادة بن دعامة السدوسي جليس وصاحب بلال بن أبي بردة والي البصرة الفاسد الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز (كان خبثاً كله)!

وأما المكثّر الخامس فهو ابن عباس، وسبب شهرته هي الدولة العباسية، ولا نتهمه - كما لا نتهم غيره - وإنما كان صغيراً يوم مات النبي. ثم المكثّر عنه عكرمة موله، وكان متهماً، وكان ناصبياً أيضاً، وكان على رأي الصفريّة من الخوارج، والعباسيون لا يعادون الخوارج لأنهم انتهوا.

ورواية عكرمة هو أيوب السخيتاني. رجل سلطة، كان رابع أربعة في عصره مع (يونس بن عبيد وابن عون ويزيد بن زريع)، كانوا يهددون شعبة بالسلطة.

الخلاصة :

أن الطرق لأصحاب الألوّف من الصحابة كانت محل رضا سياسي، إما للدولة الأموية أو العباسية، وقد كان من أقرانهم من هو أجل وأعلم.

طبعاً نكرر ونقول: هذا في الجملة.. وإلا فقد اشتهر نسبياً بعض المعارضين لتوفر ظروف اجتماعية، فلم تستطع السلطة تقزيم كل مسخوط عليه.

وخلاصة أخرى أن أهل الحديث لم يكونوا في مستوى كبير من الأمانة - كما يقال - وأنهم نقلوا كل السنة .. هذا غير صحيح، هم نتيجة سياسية في الجملة. ولو استعرضنا منهج مالك في الموطأ (في القرن الثاني) أو أحمد في المسند (في القرن الثالث)، وهما قبل الكتب الستة، لوجدنا خللاً كبيراً.

والمؤثرات السياسية لم نستعرضها بالنفصيل، وإنما أشرنا إشارات عامة، لأن الموضوع كبير جداً ويحتاج إلى إقناع مكثف، ولو فصلنا في كل مسألة لمللتم.

المشكلة في أهل الحديث قديماً وحديثاً أنهم يرون أنهم قد نقلوا كل السنة وبأمانة! وأنهم حماة السنة ورعاتها ونقلتها، وهذا ثناء مبالغ فيه جداً، فهم تركوا أحاديث كثيرة من الثقات لموقف مذهبي أو خصومي، كما روى عن كثير ممن يعرفون أنهم ضعفاء، بل عن من يعترف بأنه يكذب لنفس الموقف.

وهذا - كما قلت - من حيث الجملة، قد يروون عن المخالف مذهبياً أو سياسياً، لكنه قليل، وقد يردون حديث الموافق مذهبياً أو سياسياً، لكنه قليل، وقد ذكرنا لكم سابقاً كيف ترك بعض كبار أهل الحديث حديث أبي حنيفة وتلامذته وكل أهل الرأي، وترك بعض كبارهم حديث البخاري نفسه ..! وبعضهم ترك حديث الشيعة والمعتزلة وتشدد في تضعيفهم، وبعضهم - كالذهلي - ترك حديث الثقة لأنه لم يقدّم له عند دخوله المجلس.. وهكذا..

ولذلك سنتوقف هنا لعننا مستقبلاً نقيس شيئاً من هذا التضخيم لأهل الحديث وأمانتهم، وقد تتفاجؤون جداً..

والله يستر!

(حدثوا الناس بما يعرفون !)

علم الحديث - ماذا ضاع من السنة؟ (الجزء السابع)

الجواب ضاع كثير جداً، والأدلة على ضياع معظم السنة - ربما - كثيرة، من القرآن والسنة نفسها.

كل حديث في العقل وفضله ضاع..

كل حديث في تدبر الكون ضاع..

كل حديث في الشهادة لله ضاع..

كل حديث في الذكر والتذكر - بالمعنى القرآني - ضاع.

معظم الأحاديث في العدل ومحوريته ضاع..

معظم الأحاديث في الصدق ومحوريته ضاع..

كل حديث في رقة الإخبارات ضاع.

كل حديث في معنى الشكر - قرآنياً - ضاع..

خطب الجمعة على المنبر - التي يسمعونها الجميع - ضاعت!.. ومجموعها نحو ٥٣٠ خطبة سمعها الجميع، وليست تلك النقولات الفردية التي ينقلها فرد عن مجلس.

أحاديث أهل بدر المقتولين بصفين ضاعت، لأن معاوية لا يريد أن يذكرهم أحد بخير، بل حتى تراجمهم كادت تضيع إلا من استعصى لشهرته، كعمار وأبي أيوب..

معظم أحاديث أهل الرضوان - الذين شهدوا مع الإمام علي صفين (وهم نجحوا الثمانمائة رضواني) - ضاعت، إلا القليل ممن روى أحاديث في وقت الضعف الأموي.

أحاديث أهل البيت ضاعت، إلا ما رواه الخصوم - فأصبح لا يقبلون عن علي إلا ما رواه فلان وفلان - أو ما لم يستطع بنو أمية دفعه وانتشر رغماً عنهم.

أحاديث وعلوم سبعمائة من شهداء المهاجرين والأنصار بالحرّة ضاعت، فعندما تقرأ أسماءهم لا تكاد تعرفها أصلاً، فكيف بأحاديثهم؟

أحاديث عشرة آلاف من التابعين يوم الحرّة ضاعت بموتهم وقتلهم، ومنع ذكرهم بخير.. أحاديث التوابين (ورأسهم صحابي كبير) ضاعت بعد قتلهم بعين الورد.

وعاء أبي هريرة الثاني - وهو في ذم بني أمية وقتلتهم - ضاع أكثره، لخوف أبي هريرة من قطع بلعومه لو حدث به.. ولمال معاوية كما ذكر ابن المسيب.

معظم أحاديث المتأخرين من الصحابة - كأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد - ضاعت، بسبب ختم الحجاج على أعناقهم حتى لا يسمع منهم أحد.

قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) [جزء ١ - ٢٠٠] وفي سنة أربع وسبعين أرسل الحجاج في سهل بن سعد يريد إزالته .. قال : ما منعك من نصرة أمير المؤمنين عثمان؟ قال : قد فعلته . قال : كذبت.

ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضاً في عنق أنس بن مالك، حتى ورد كتاب عبد الملك فيه وختم في يد جابر يريد إزالته بذلك وأن يجتنبهم الناس ولا يسمعون منهم !)

انظر لقوله (حتى يُجتنبوا ولا يسمع منهم)، فالأحاديث التي خرجت عن هؤلاء قليل من كثير، وحدث بها أناس متهمون ومع السلطة غالباً، فراوية أبي سعيد هو أبو نضرة، وراوية جابر هو أبو الزبير.. أبو نضرة بصري مع الدولة، وأبو الزبير مكي مع الدولة، رغم أن جابر وأبا سعيد مدنيان، والمدنيون بعد الحرّة والمآسي استجابوا في الجملة، فللختم أثر! هؤلاء الصحابة المقتولون من أهل بدر والصحابة المقتولون من أهل الرضوان والتابعون الخائفون الساكتون، من يسد مسدهم؟ إنها الدولة وأحاديثها.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام) [632 / 1] وفيها - أي سنة ٧٣هـ - سار الحجاج من مكة .. إلى المدينة فأقام بها ثلاثة أشهر يتعنت أهلها، وبنى بها مسجداً في بني سلمة، فهو ينسب إليه، واستخف فيها ببقايا الصحابة وختم في أعناقهم (أه) فالغلاة يحبون الخاتم والمختوم معاً، فضاعت السنة، لأن الخاتم هو القاتل وهو اللاعن، ولا يرضى للمقتول ظلماً والمملعون ظلماً والمختوم ظلماً أن يكون له أي أثر ثقافي - ما أمكن - فضاعت أكثر السنة. هؤلاء القتلة لأهل بدر والرضوان واللاعنون لأفضلهم والخاتمون على أعناقهم هم يحاربوننا اليوم بأتباعهم حتى لا نكشفهم ونصرة للمظلومين!

إذا وجدتم مثل هذه (الحوسة الكبيرة التي تدع الحليم حيران) فابحثوا عن الشيطان!.. مباشرة!.. فهو الأذكى، وهو من يقود الناس لحرب الدين بالدين.

إذا فالسنة ضاع منها الكثير، والقرآن سيدلك على ما ضاع منها من الموضوعات التي سبقت، فالقرآن نور كاشف، حتى لما طمسوه وأرادوا إماتته. فالكتاب الأول في معرفة السنة والحديث الصحيح هو القرآن الكريم، هو الذي يعطيك الخطوط العامة العريضة، فاعرض كل شيء عليه، من أحاديث وأفكار، نعم.. نفذت أحاديث صحيحة كثيرة موافقة للقرآن الكريم، ولتخلص تلك الأحاديث من الرقابة أسباب ذكرناها سابقاً، ولكن بقي الغناء غالباً لغلبة الدولة.

المشكلة أن أهل الحديث في الجملة نتيجة سياسية، هم البقايا بعد هؤلاء الناصحين الذين تم قتلهم أو لعنهم أو ختمهم، هم البقايا الساكطة والموافقة. فعندما يؤدون ثقافة لا بد أن تكون - في الجملة - متأثرة بالسلطة التي لا يرون ظلمها!.. ومن لم ير هذه المظالم ولا ينكرها، فهل هو أهل لنقل صادق كامل؟

هنا لا تشك في أهل الحديث، لكن لا تقبل نقولهم هكذا دون عرض وتبين وتقليب لهذا الحديث، بل وتساؤل: لماذا كان موقفهم ضعيفاً من هذه الظالم؟!

علم الحديث - موقفهم من الصحيح والضعيف (الجزء الثامن)

الغريب في غلاة أهل الحديث أنهم من أشد الناس حباً للضعيف ومن أبغضهم للصحيح عندهم ..! وهذا قسم من تلك الحيرة التي أدخلونا فيها، فهم متحمسون لإثبات السنة - وفي عقولهم ضعافها - وعندما يأتون للصحيح - بل المتواتر - يبغضونه وينكرونها ..! وهذه حيرة وحوسة لا مخرج منها إلا بتقية القلب والهدوء... والتفريق بين المذهبية والسنة.

لا بد هنا أن نتذكر بأن السنة سنة محمد، وليست المذهب. فمثلاً: عندما نأتيهم بالحديث الذي نتفق نحن وهم على أنه صحيح أو متواتر، هم يقبلون صحته لا معناه ..! كأنهم يقولون: الحديث صحيح لكن لا نؤمن به ..! وهذه عادة أهل الحديث من قديم - وليس اليوم فقط - فلذلك يقولون: (أمروها كما جاءت بلا معنى)؟! هل نختبرهم ببعض ما يصححون أم نسكت؟ يظهر أنه لا بد من أمثلة:

النموذج الأول:

حديث الحوض (أصحابي أصحابي)، وجواب الملك للنبي (إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ أن فارقتهم)، هذا في الصحيحين وينكرونها، ومعنى ينكرونها أي يكذبون معناه، يقولون: (لا هؤلاء ليسوا أصحابي، هؤلاء مسلمة والمرتدون)؟! مع أن النص فيه قرآن على أنهم صحابة بتعريفهم، ومنها:

1- قوله (أصحابي أصحابي) ..

2- قوله (منذ أن فارقتهم)، فالنبي لم يسكن الإمامة حتى يقال له (منذ أن فارقتهم) ..

3- قوله (سحقاً لمن بدل بعدي) ..

وغيرها من القرآن التي لا يتلفون إليها أبداً! لماذا؟

لأن هناك عقيدة قد تم بناؤها وإشادتها، ومن الصعوبة هدمها، والحديث يخالفها.. فماذا يفعلون؟ هل يضحون بالعقيدة من أجل الحديث الذي يؤمنون بصحته؟! أم يضحون بالنبي وحديثه من أجل العقيدة التي أنشأها سلفهم؟! الحل عندهم التضحية بالنبي أسهل!

النموذج الثاني:

(حديث عمار = الفئة الباغية ودعوتهم إلى النار)، يبغضون معنى الحديث بغضاً شديداً، مع إيمانهم بتواتره، وأظنكم تعرفون مواقفهم.

النموذج الثالث :

حديث منزلة علي (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، متواتر، وهو في الصحيحين، يؤمنون به، لكنهم يستدركون عليه!، أعني: لا يؤمنون به كما هو، ويصبح معناه عندهم هكذا) أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ولست أفضل.. ولست ولست.. فهم يبغضون الحصر ..! مع أن النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يستثن إلا النبوة، فلماذا يستثنون عشرين صفة أخرى (كما فعل ابن تيمية) ؟! هذا بغض لمعنى الحديث.

إذا كانت هناك أحاديث تخالفه في فضل أبي بكر أو عمر.. فلماذا لا تتم المقارنة؟! من حيث الثبوت والأقوى معنى والأبعد عن المقابلة؟

لا بد من مقارنة.

النموذج الرابع:

حديث (أشبع الله بطنه) في صحيح مسلم، يبغضونه ..! حتى أنهم حولوه إلى فضيلة وأجر ..! وأن النبي مخطيء في الدعاء عليه!.. وليس ماجوراً!

النموذج الخامس:

الحديث المتواتر (للتبع سنن من كان قبلكم) = اليهود والنصارى، يؤمنون بصحته! لكنهم لا يجعلونه في المخاطبين! ولا في بعضهم!! هم يجعلونه قروناً! ويصبح معناه هكذا) سيأتي من بعدكم من يتبع سنن اليهود والنصارى..(هم يعطون كل خطاب في الذم ويفعلون كل خطاب في المدح).. والصواب أن هذا وهذا لا يقتضي التعميم، وإنما البعض، فالبعض من المخاطبين كذا والبعض كذا، لكنهم يقولون "لا"، كل خطاب في ذم معناه غائب، وكل مدح يعمم!

النموذج السادس:

في صحيح مسلم - (8 / 124) عُدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلًا مَوْعُوكًا - قَالَ - فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَشَدَّ حَرًّا. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الرَّكِبَيْنِ الْمُقَفَّيْنِ . «لِرَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ (أه النص هؤلاء صحابة، لكن الغلاة لا يؤمنون بهذا، فكلهم عندهم عدول أخيار.. فكيف لو عرفوهم؟

(أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)، ورجح الالباني أنه معاوية، لكنه لم يجرؤ على النطق بالاسم!

مقتطفات من ردود :

الآحاد لا يصلح لمعارضة المتواتر، فمن بغضهم لحديث عمار المتواتر أنهم يعارضونه بحديث آحاد، بل مرسل عند التحقيق، كما ذكر الدارقطني.

الحديث الذي بأيدينا خليط، فمنه ما قاله النبي، ومنه ما زيد فيه وأنقص، ومنه ما وضع وضعا وصححه أهل الحديث، وفيه ما صح وضعفه.. الخ
لا يمكن منع الرويبضات - بعد أن قتلوا البدرين ولعنوهم وختموا على أعناقهم - وأصبحوا هم أصحاب الحديث والسنة والرواية والمعيار!
الرويبضات انتصروا مبكراً، وحكموا الدولة الإسلامية من الصين للأندلس، وكتبوا التاريخ والفقه والحديث والعقائد والخط والإملاء.. الخ
قلنا أن بعض الأحاديث الصحيحة نفذت.. ولم يستطيعوا منعها لظروف سياسية واجتماعية، فقد تعرضوا لهزات سياسية، وبقي بعض التابعين بعدهم.

علم الحديث - التوثيق.. بين الاهواء والسياسة (الجزء التاسع)

ذكرنا لكم في **الجزء السادس "أمانة اهل الحديث.. في الميزان"** كيف ترك بعض كبار أهل الحديث حديث أبي حنيفة وتلامذته وكل أهل الرأي، وترك بعض كبارهم - كالذهلي وأبي حاتم وأبي زرعة - حديث البخاري نفسه لموقفه المذهبي من قضية (اللفظ) (وبعضهم ترك حديث الشيعة والمعتزلة وتشدد في تضعيفهم. وبعضهم كالذهلي - شيخ البخاري - ترك حديث الرجل المحدث الثقة لانه لم يقم له عند دخوله المجلس .. وهكذا .

الذهلي شيخ البخاري يترك حديث من لم يقم له في المجلس! نعم.. الذهلي شيخ البخاري هو الذي ضعف بعض الثقات لانه لم يقم له، ففي "تهذيب التهذيب" (ج ٦ / ص ١٦) ، وقد كان محمد بن يحيى روى عن أبي قدامة السرخسي (ثم ضرب على حديثه.. فإن أبا قدامة أحد ائمة الحديث، متفق على امامته وحفظه واتقانه، ثم ذكر الحاكم أن سبب ذلك ان الذهلي دخل على ابي قدامة فلم يقم له) .. اهـ

هنا من حقنا أن نسأل :

أين أمانة الذهلي من نقل السنة؟ !

لماذا حذف أحاديث أبي قدامة السرخسي مع أنه ثقة؟

الجواب: لانه لم يقم له في المجلس فقط!

مواقف أحمد بن حنبل :

وأحمد بن حنبل أيضاً له مواقف تدل على تفريطه في كثير من الحديث لمواقف مذهبية أو شخصية أو خصومية، فقد نهى عن الرواية عن المحدث الثقة المشهور، ابن الجعد الجوهري، صاحب "المسند" - مسنده مطبوع - لان ابن الجعد كان يذم معاوية فقط !وليس لأنه غير ثقة، فهو محدث ثقة وله مسند مطبوع، وأهل الحديث يوثقونه .

أيضا اعترف الإمام أحمد اعترافا خطيرا بقوله: (تركنا رواية أهل الرأي، وكان عندهم حديث كثير) !! لماذا؟

الجواب: لأنهم خصوم أهل الحديث فقط !

فأين الأمانة هنا؟! أي الحرص على نقل السنة كلها؟..والقصص كثيرة جداً، قد نفصل فيها لاحقا .

لكنني اتعاهد المتابعين برفق، لأن بعضهم قد يكبر عليه الموضوع، ولو قلنا ما نعلم - وهو قليل - لحر الأكثرون .

الخلاصة :

أن التوثيق والتضعيف عند أهل الحديث خالطته المذهبية والسياسة، بل حتى الأمور الشخصية (كقصة الذهلي مع أبي قدامة السرخسي) وهذا كان له أثره في الحديث، أخذوا وردا وانتقاعا واشهارا وإهمالا، وأهل الحديث ليسوا سواء، بل حتى الواحد منهم له أحوال، ويجب دراسة شخصيته وتحولاته وظروفه والمؤثرات فيه ومدى إستجابته لها .. الخ .. وأن تكون الدراسة بعلم وإنصاف لا بهوى معه يضر السنة، ولا بهوى ضده يضر السنة أيضا، فالهدف الأهم هو (سنة محمد وأحاديثه) وليس الشخص . ولنترك العاطفة في الذم أو المدح، فالنبي وسنته أولى بالرعاية والحماية من التزديد والإنقاص، أو الإشهار لضعيف أو الإهمال لصحيح .

التعصب لبعض الرواة يؤدي للإساءة إلى النبي :

التعصب لتوثيق بعض أهل الحديث الراكنين إلى السلطات أو المتعصبين للمذاهب، وكذلك التعصب في تضعيف الثقات لمذهب أو غيره، كل هذا ضار بالسنة. ولناخذ مثلا :

تعصبا لهشام بن عروة وعروة بن الزبير - من الراكنين إلى السلطات الظالمة والذي ظهر على أحاديثهم النكارة - أدى إلى قسم من التشويه لصورة النبي صلوات الله عليه وآله، لأن بعض تلك الصورة مأخوذ من طريق عروة وابنه هشام . ومن نماذج الأحاديث التي انفردوا بها قصة زواج النبي من عائشة وعمرها ست سنوات فقط! هو في الصحيحين من هذا الطريق، وهو خبر باطل، لا يجوز اعتقاده، فلماذا دخل هذا الحديث في الصحيح؟

الجواب :لأننا وثقنا بهشام بن عروة وأبيه، وتعصبا لهما، لأن الرأي العام السياسي الأموي والعباسي كان معهما، ككثير من علماء السلاطين في كل زمان، تتشكل لهم دعاية كبيرة، ويصبحون فوق النقد، وأحاديثهم فوق التمهيص. ولو شككنا فيهما (أعني عروة وابنه) وبحثنا عن سن عائشة، لعلمنا ان النبي تزوجها وعمرها ١٨ سنة على الأقل، فقد أسلمت بإسلام أبيها أبي بكر، وهو من أوائل من أسلم - على المشهور - وكانت مخطوبة قبل النبي لجبير بن معطم بن عدي من بني نوفل، وغير ذلك كثير من الأخبار التي تؤكد أن عمرها يوم زواج النبي منها لا ينقص عن ١٨ سنة، ولكن هؤلاء الغلاة - الذين يتحمسون لتوثيق عروة وابنه هشام وتوثيق غيرهم أيضا من الراكنين إلى السلطات الظالمة - لم يحسنوا الدفاع عن النبي صلوات الله عليه وآله، ولا تركونا ندافع عنه.. فهم يمنعون من الشك في أحاديثهم، ويجعلونها فوق الأحاديث الأخرى، ثم يكون دفاعهم هزيلا، ويصبح دفاعهم في هذه المسألة كمثال - زواج النبي من القصاصات - دفاعا باردا ضعيفا، لا يقنع مسلما ولا كافرا . الغلاة هم جهلة بهذه الدقائق والعلل في الحديث، وإنما يقدون أهل الحديث، وأهل الحديث رأينا أهواءهم في التوثيق والتجريح، وإن كانت بنسبة معينة، فلا نعم عليهم الهوى والتأثر بالسياسة والمذهب، لكن القدر المحرض على الشك والتمجيص موجود. فلذلك ابتلانا الله بهم في هذا العصر. وتصردوا لجان الدفاع عن النبي وهم لا يستطيعون الدفاع، لأنهم يعتقدون بأغلب تلك التشويهات من أحاديث هؤلاء الموثقين خطأ أو هوى، فبقيت الكتب والأفلام والمقالات تصدر تباعا، وبقي توثيق هشام بن عروة وأبيه عروة عندهم أهم من نفي تلك الأحاديث المغلوطة عن رسول الله !

هم بلاء الدين والعلم!

فلماذا يروون مثل هذه الإساءات في حق النبي؟؟

رووها لسببين:

إما أنهم لا يرونها إساءة .. ولكنهم لم يحفظوا، وإنما نقلوا شائعات روائية لم يتحققوا منها (هذا في حالة حسن الظن بهم). وإما إذا أسأنا الظن فنقول: هم افترروا مثل هذه الأحاديث لأن السلاطين من بني أمية وبني العباس الذين (يركن اليهم هؤلاء) كانوا يجدون من السبايا بنات صغارا، وقد يشتهونهن - من باب المرض النفسي والتسلطي - فيأتي هؤلاء الرواة ويسهلون على السلاطين أمام العامة دخولهم بأولئك البنات الصغار، بحجة أن ذلك جائز، وأن النبي قد تزوج طفلة عمرها ست سنوات، ودخل بها وعمرها تسع سنوات.. الخ ثم لا يجد النبي من يدافع عنه !

لكن هشام بن عروة وأباه عروة يجدون من يدافع عنهم! لذلك فنحن مع أهل الحديث اليوم في ورطة كبيرة معهم، فنحن لا نستطيع أن نسكت عن الإساءات إلى النبي ص وآله، وهم لا يستطيعون أن يسكتوا عن تضعيفنا لبعض سلفهم - كعروة وهشام - ولو نسبيا في موضوعات معينة .

وأیضا ورطة أخرى، وهي أننا إذا دافعنا عن النبي بغير علم كدفاعهم ، لم يقنع احدا، إن دافعنا بعلم إتهمونا بكل طامة، واستعدوا علينا كل سلطة!

فنحن في بلاء منهم، لأنهم هم المتغلبون المسيطرون على مراكز القرار الديني والإعلامي - وربما السياسي - في بعض البلدان، ولا يقبلون حوارا ولا بحثا ولا مناظرات عادلة، ولا يسمعون حجة ولا برهانا، وأنا أناشد كل من له سلطة على هؤلاء أو صلة بهم (أعني المدافعين الضعفاء عن النبي صلوات الله عليه وآله) أن يقولوا لهم :

اتقوا الله، فالرسول صلوات الله عليه وآله يجمعنا، ورسول الله أولى بالدفاع القوي العلمي المقنع من تمسككم بهذه الأحاديث التي تسيء للنبي صلوات الله عليه وآله .

أوجدوا لنا مخرجا منها أو اتركوا غيركم يرينا المخرج ..

قولوا لهم: تواضعوا، اسمعوا حجة الطرف الآخر فربما يفيدكم، ربما يعيطونكم معلومات أفضل . وأقول لهم :

اسمعوا منا ثم - إن شئتم - فخذوا بأبحاثنا أو براهيننا وانسبوا لكم، هذا أمر ثانوي، لا يهم، فلا تذكرونا بحرف واحد ..ثم تزعمون انكم تدافعون عن النبي وتتصدون للدفاع عنه!